



وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الإفتاء والبحوث الإسلامية

بُورِكَ النَّبِيِّ

فِي

مِيسَالِ الْبَقْلِيَّةِ

لأبي العباس أحمد بن مبارك السجلماسي

(ت ١١٥٦ هـ)

رحمه الله

دراسة وتحقيق

الأستاذ الدكتور مولاي الحسين بن الحسن الحياتي

رحمه الله



وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الأبحاث الإسلامية

رَدُّ التَّشْدِيدِ
فِي
مَسْأَلَةِ التَّقْلِيدِ
لأبي العباس أحمد بن مبارك السجلماسي
(ت ١١٥٦ هـ)
رحمه الله

دراسة وتحقيق:
الأستاذ الدكتور مولاي الحسين بن الحسن أحيان
رحمه الله

الطبعة الأولى
١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

حقوق الطبع محفوظة للوزارة

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

الكويت

ص.ب ١٣ - الصفاة

الرمز البريدي ١٣٠٠١

فاكس: ٢٢٤٦٤٩٠٨ - ٠٠٩٦٥

الإهداء

إلى روح شيخ التراث المالكي بالغرب الإسلامي، الذي رحل إلى رحاب ربه وهو في عز النشاط والحيوية والعطاء، تاركاً وراءه حسرة في القلوب لا تتقضي، وفراغاً في كشف نبوغ المغاربة وإسهامهم في بناء صرح الثقافة العربية الإسلامية يبعُد أن يُشغل، الأستاذ الدكتور عمر بن عبدالكريم الجيدي، شيعي وشيخ جيل الباحثين المعاصرين.

إلى روحه الطاهرة أهدي باكورة عملي في مجال التحقيق، سائلاً الله جلّت قدرته أن يغفر له ويرحمه، وأن يجعل ما قدمه لتراث هذه الأمة في موازينه يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً.

المحقق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

حمداً لمن بيده مقاليد السماوات والأرض، يدبر أمرها بعلم وحكمة وتقدير،
ويصرف شؤونها وفق نظام متسق عجيب، لا يملك إزاءه ذو العقل السليم إلا التسليم
بأنه الرب العليم، المدبر الحكيم، لا إله إلا هو إليه المصير. وصلاة وسلاما على من
بعثه هاديا للأنام، داعيا إلى محبة بيضاء، من سلكها نجا، ومن حاد عنها هلك، نبينا
محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه إلى يوم الدين.

أما بعد، فهذه رسالة لطيفة، حجمها صغير، ونفعها عظيم، وضعها علامة المغرب
أبو العباس أحمد بن مبارك السجلماسي، ليزيل بها ما علق بأذهان بعض الدعاة من
التوغل في كلمة التوحيد، والزام المكلفين بمعرفة كل متعلقاتها ولوازمها على الوجه
الذي رسمه المتكلمون، وأن من لم يعرف النفي والإثبات على طريقتهم كافر لا يضرب
له في الإسلام بنصيب، ساعياً وراء هذه الرسالة إلى بيان وجه الحق في المسألة،
وإطفاء فتنة كادت تعصف بوثام أهل العلم في زمنه، خاصة ببلده سجلماسة.

فكانت الرسالة على وجازتها غاصّة بمعارف غزيرة، وتحقيقات علمية شافية،
وروداً مفحمة على أقطاب الجدل والكلام، ونيلاً صريحاً من علم الكلام وأهله،
وتشكيكاً قوياً في قدرته على الوصول إلى الحقائق العلمية؛ لأن كثيراً من قواعده
جدلية لا برهانية.

وقد استعار السجلماسي معاول هدم أسس علم الكلام من أقطابه البارزين؛
كالغزالي في «منقذه»، والآمدي في «أبكاره»، والرازي في «محصله»، مبدئاً خبرة
واسعة بعلوم القوم، وإطلاعاً مكيناً بمصادر الكلام ومدوناته، مستهدياً في كل ذلك
بالمعرفة الإسلامية القائمة على النقل، المستبصرة بما بُت في الأنفس والكون والحياة
من دلائل التوحيد وأعلام النبوة.

أمعنت النظر في الرسالة، وقرأتها قراءة تدبر وتمعن، وقدرت أن يكون في نشرها

سدُّ لنقص عانت منه المكتبة المغربية وما تزال، وإسهامٌ في إحياء تراث أعلام مغربنا،
واللَّه من وراء القصد والهادي إلى أقوم طريق. وصلى اللّهُ على نبينا محمّد وعلى آله
وصحبه.

كتبه عبّيد ربه وأسير ذنبه
مولاي الحسين بن الحسن الحيان التتاني التغانيميني
أستاذ أصول الفقه ومقاصد الشريعة
بكلية الشريعة بمدينة اغادير
المملكة المغربية

التمهيد

أمهد لهذه الرسالة بفصلين: أحدهما في ترجمة السجلماسي، والثاني في دراسة رسالته: «رد التشديد في مسألة التقليد».

الفصل الأول: ترجمة السجلماسي

انتعش العلم والفكر في القرن الحادي عشر والثاني الهجريين في المغرب الأقصى، ونبغت طائفة من قادة العلم وأرباب الفكر، حصّلت معارف جمة، ومثلت ثقافة عصرها، وأضافت جديداً إلى صرح المعرفة، وأثّرت فنونها تنقيحاً وتهذيباً وتمحيصاً وتحريراً، فكانت إسهاماتها المعرفية تمكس بجودتها ونفاستها إسهامات من تقدمهم من عباقرة الأمة الإسلامية مشرقاً ومغرباً. وكان حظ العلوم الشرعية من فقه وتفسير ولغة وحديث وأصول... في هذه الإسهامات كبيراً، وثراء مادتها واسعاً، وغناء مكتبتها واضحاً جلياً.

ومن فرسان هذه الطائفة في مغربنا الأقصى، العلامة المحقق، الحافظ المتمكن، الحامل راية التفتن في المعقول والمنقول، الضارب بسهم وافر في كل الفنون، الجامع في إنتاجه العلمي بين التحقيق والتحريير والتدقيق، أبو العباس أحمد بن مبارك السجلماسي، الذي وفد على حاضرة فاس في العهد الإسماعيلي للطلب والتعليم، فكان من أعلامها المبرزين، الذين تشد إليهم الرحال، ويقصدهم الناس من كل الجهات بالسؤال والاستفتاء. أفلا يحق لنا أن نحتفي به عالم مغربي أصيل، ملأ دنيا الناس في زمنه تدريساً وتأليفاً وإفتاءً؟ وخلف لنا تراثاً علمياً نفيساً، يعبر بصدق عن الإسهام المغربي في تطوير المعارف والدفع بها إلى الأمام. فمن هو السجلماسي إذن؟ ذلك ما سيكشف عنه هذا الفصل المخصص لحياته متبعاً العناصر الآتية:

اسمه ونسبه

هو أحمد بن مبارك بن محمد بن علي، أبو العباس اللمطي، البكري الصديقي، المعروف بالسجلماسي.

اكتفت مصادر ترجمته في سياق نسبه بهذا، وزاد عليه هو نفسه جديّن آخرين حين أنهى بعض كتبه بقوله: «قاله وكتبه عبيد ربه أحمد بن مبارك بن محمد بن علي ابن عبدالرحمن بن مبارك السجلماسي اللمطي»^(١). وشذّ أبو الربيع سليمان الحوات

(١) فهرسة إجازته للمكودي (ورقة ١٢)، رد التشديد في مسألة التقليد (ورقة ٢٢٤).

(ت ١٢٣١هـ) في كتابه «الروضة المقصودة» فسَمَّى أباه علياً، وجَدَّه محمداً، مخالفاً بذلك كل الذين ترجموا له قبله وبعده^(١). قال - وهو يرفع نسبه بالاتصال الثابت - : إنه الإمام أبو العباس أحمد بن علي بن محمد بن المبارك^(٢).
 فاللَّمْطِي^(٣) - باللام المشددة، بعدها ميم مفتوحة - نسبة لِلْمَط - بالتحريك - ولمَط رهط من سجلماسة، ولمَط أيضاً قرية من قرى المدينة العامرة (سجلماسة) أيام عمرائها وازدهارها^(٤).
 والبكري - بفتح الباء المنقوطة بواحدة، وسكون الكاف، وفي آخرها الراء - نسبة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكذلك الصَّدِيقِي. كان ينتسب إليه خلق كثير^(٥).
 هذا، وقد نص بعض مترجميه^(٦) على أَنَّهُ موصول النسب بسيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(٢) وتابعه في هذا محقق كتاب «تحرير مسألة القبول» ص ٤٦، مع أَنَّهُ وقف على النص نفسه ونقله.

(٣) الروضة المقصودة والحلل الممدودة في مآثر بني سودة، ص ٢٩٠.
 (٤) بفتح أوله وثانيه، وليس بسكون الميم كما ظن صاحب «مؤرخو الشرفاء» (ص ٢٢٠) حين نسبه إلى لَمْطَة - بالفتح ثُمَّ السكون، وهاء مهملة -؛ لأن لَمْطَة أرض وقبيلة بأقصى المغرب من ناحية سوس، بينما لَمَط قرية من قرى سجلماسة. انظر: نشر الثاني ٣١٠/٢، معجم البلدان ٢٢/٥.
 (٥) نشر الثاني ٩٤/٤، التقاط الدرر ص ٣٩٢، الروضة المقصودة ص ٢٩٠، سلوة الأنفاس ٢٠٣/٢.
 الإعلام للمراكشي ٣٨٣/٢. ولا أدري على أي شيء اعتمد محقق كتاب «تحرير مسألة القبول» (ص ٤٦ هامش رقم ٢) حين قال: لازالت معروفة ومسكونة لحد الآن؛ مع أن كل من كتب عنها من المؤرخين قديما وحديثا أشار إلى خرابها واندراسها. بل مدينة سجلماسة التي تعتبر (لَمَط) قرية من قراها لم يبق منها سوى بعض قصور متهدمة، مرتصفة على طول وادي زيز. راجع: وصف إفريقيا للحسن الوزان ص ٤٩٢.

(٦) انظر: الأنساب ٣٨٥/١، ٥٣١/٢، الباب في تهذيب الأنساب ١٧٠/١، ٢٣٧/٢.
 (٧) كآبي الربيع الحوات في الروضة المقصودة ص ٢٩٠، والكتاني في السلوة ٢٠٣/٢.

والسجلماسي: نسبة إلى سِجْلَمَاسَة - بكسر أوله وثانيه، وسكون اللام، وبعد الألف سين مهملة - وهي مدينة في تافيلالت في الجنوب الشرقي للمغرب الأقصى^(٨).

ولادته ونشأته

وُلد أبو العباس السجلماسي في حدود التسعين وألف (١٠٩٠هـ) من الهجرة النبوية ببلده سِجْلَمَاسَة^(٩). وبها تعلَّم، وحفظ القرآن الكريم، وجمع هنالك القراءات السبع برواياتها على ابن خالته وابن عم جد والده الإمام الشهير والعارف الكبير سيدي أحمد الحبيب (ت ١١٦٥هـ)، وقرأ عليه شيئاً من النحو^(١٠).

أما عن نشأته وصباه، وكيف قضى طفولته وشبابه: فقد شحت المصادر عن البسط في تفاصيل سيرته في هذه الفترة من حياته. إذ لم تزد على أن نصت على تفقهه صغيراً على ابن خالته أحمد الحبيب، وأخذه عنه القراءات القرآنية والنحو العربي. ثُمَّ هُفِزَتْ بنا إلى انتقاله إلى حاضرة فاس بقصد القراءة والتعلم وهو ابن عشرين سنة. فطوت عنا بذلك سجلاً طريفاً من أحداث طفولته وصباه، وحجبت عنا من الفوائد والتفاصيل ما يكون عوناً للباحث على تكوين ملامح واضحة من سيرته، والوقوف على الروافد العلمية التي أدت إلى نبوغه المبكر، وصنعت منه عالماً موسوعياً أخذ من كل فن يحظ وافراً. وقد كان بإمكانه أن يقدم لنا بنفسه ترجمة ذاتية على غرار ما يفعله جل العلماء، لكنه لم يفعل، إذ فضل الإمساك، والتزم الصمت عن ذكر ماضيه وأسرته، مما يدفع إلى الظن أنه لم يجد في طفولته أو شبابه ما يدعو إلى تدوينه ورصده^(١١).

إلا أننا نستطيع أن نتصور الطريقة المتبعة في تعليم الناشئة ببلاد المغرب في

(٨) وهي الريصاني حالياً، تبعد عن أرهود بحوالي ٢١ كلم، والراشدية بـ ٧ كلم، وعن الرباط بحوالي ٥٥٦ كلم. وقد عرفت سِجْلَمَاسَة ازدهاراً عظيماً بفضل التجارة خلال القرون السبعة الهجرية الأولى. راجع في موقعها وبنائها وأحوال أهلها: معجم البلدان ١٩٢/٣، الروض الماطر ص ٣٠٥-٣٠٧، وفي موضوع أقول نجمها وخرابها: وصف إفريقيا للوزان ص ٤٩٣، وتقييدا في التمرين بسِجْلَمَاسَة لأبي محلي (الخزانة الحسنية رقم ٢٦٣٤)، وتقييدا في تاريخ سِجْلَمَاسَة لابن زيدان (الخزانة الحسنية رقم ١٢٢٢٤)، والحركة الفكرية في عهد السعديين للأستاذ حجي ٥١٩/٢، ٥٢٨، ومقالا في اعتناء الموحدين بسِجْلَمَاسَة للأستاذ البلفيتي (دعوة الحق، ع ٢٨٠٤، السنة ١٤١١هـ/١٩٩٠م).

(٩) نشر المثاني ٤٢/٤، الروضة المقصودة ص ٢٩١، الصلوة ٢٠٢/٢، شجرة النور ٢٥٢/١.

(١٠) نشر المثاني ٤١/٤، الروضة المقصودة ص ٢٩١، الصلوة ٢٠٢/٢.

(١١) راجع: تحرير مسألة القبول ص ٤٧.

عصره، فقد كتب عنها العلماء قديماً وحديثاً ما بين مؤيد ومعارض^(١٢). فالكُتّاب أو «المسيد» هو أوّل مدرسة تحتضن الناشئة. والقرآن الكريم هو أوّل ما يُعنى الأطفال بحفظه للتعود على القراءة وترويض الذاكرة. وإذا انتهى الطفل من حذقه، فإنّه يقبل أوّل الأمر على استظهار بعض المتون، ولا بُدّ من استيعابها للإلمام بالمبادئ الأولى في النحو والعقيدة والفقه^(١٣). فاللغة والدين هما المعينان اللذان يجب على كل راغب في التحصيل أن يرتشف منهما، بل أن يتضلع فيهما. وذلك هدف لا يتحقق إلّا بالجلوس صباح مساء في حلق الشيوخ المتبحرين في العلم، سواء في المساجد أو في الزوايا.

ومترجمنا العلامة السجلماسي لا يكون بعيداً عن أجواء هذا الوسط، فقد يصدق عليه ما ذكر أو بعض منه على الأقل. وعلى كل حال، فهو وإن لم نعرف نشأته وأسرته، فإن العلماء قد ترجموا له على أنّه عالم فاس في وقته بلا منازع^(١٤).

رحل إلى فاس بقصد تتميم الدراسة، فدخلها سنة عشر ومائة وألف (١١١٠هـ)، فأخذ عن عامة شيوخها، واختلف إلى حلقات أكابر علمائها، فتضلع في علوم الشريعة واللغة حتّى ادعى الاجتهاد، وامتلاً وطابه من المعارف حتّى صار متحققاً لما يدرس في القرويين من منقول العلوم ومعقولها.

شيوخه

وما كان العلامة السجلماسي ليتبحر في المعارف، ويشارك في كثير من الفنون لولا ما قُطر عليه من همة عالية، وعزم أكيد في الطلب، وما رُزق من مشيخة درّأكه، عالمة فّهامة، تنشر اللآلئ والمعارف، ودرر الفنون في رحاب القرويين وغيرها من مراكز العلم بفاس.

تلقى العلم من شيوخ أجلاء، ذكر بعضهم في فهرسته التي أجاز بها تلميذه أحمد المكودي، وورد آخرون في بعض مظار ترجمته. ونعرض فيما يلي أبرز هؤلاء، وأكثرهم تأثيراً في شخصيته.

(١٢) راجع للتوسع: الدراسات القرآنية بالمغرب في القرن الرابع عشر الهجري، ص ١٢ وما بعدها.

(١٣) انظر: العواصم من القواصم لابن العربي ص ٣٦٧، مقدمة ابن خلدون ٢/ ١٢٥٠، الفكر السامي ١٧٦/٢-١٧٧، مؤرخو الشرفا ص ٢٨-٢٩.

(١٤) نشر الثاني ٤/ ٤٢، مناقب الحضيكي ١/ ١١٢.

١ - أبو العباس أحمد بن العربي بن محمد بن علي المعروف بابن الحاج الفاسي (ت ١١٠٩هـ) ^(١٥)

الفقيه الإمام، القدوة الشهير، المدرس النفاع، ولد بفاس عام ١٠٤٢هـ، وقرأ بها على أكابر الشيوخ، ورحل حاجاً إلى بيت الله الحرام، ولقي في رحلته شيوخاً مشاركة مشهورين: كزين الدين الطبري، وعبد السلام اللقاني، والإمام الخرخشي، وغيرهم ^(١٦). وقد أسندت إلى ابن الحاج بعض الكراسي العلمية بالقرويين، وأخذ عنه جماعة أدرك بعضهم شهرة واسعة: أمثال عبد السلام القادري، وعبد السلام جسوس، وابن زاكور، والمسنوي الدلائي، وأحمد بن مبارك السجلماسي ^(١٧)، الذي قال في حقه: «شيخنا فريد عصره، وإمام دهره» ^(١٨).

كما أسند إليه منصب القضاء بفاس عام ١١٠٥هـ، فسار فيه بالعدل والإنصاف إلى أن أدركه أجله عام ١١٠٩هـ.

(١٥) ترجمته في: نشر المثاني ٨٢/٣، التقاط الدرر ص ٢٧٢، الشجرة ٢٢٧/١، فهرس الفهارس ١١٧/١، اليواقيت الثمينة ص ٣٢.

وأنبه هنا إلى وهم وقع فيه الأستاذ محمد الأخضر حين ظن أن المترجم له هنا هو المقصود عند صاحب كتاب «مؤرخو الشرفاء» (ص ٢٦٢) الذي ترجم لعالم آخر هو أبو العباس أحمد بن محمد ابن الحاج السلمي المرداسي (ت ١٢٧٤هـ). وتبعه في هذا الوهم محقق كتاب السجلماسي «تحرير مسألة القبول» (ص ٥٦). وزاد هذا الأخير خطأ آخر حين جعل تاريخ وفاته عام ١١٢٩هـ: مع أن المصادر التي أحال عليها في ترجمته اتفقت على أن تاريخ وفاته كانت عام ١١٠٩هـ. أما المتوفى عام ١١٢٩هـ فهو أبو عبدالله محمد بن أحمد المعروف بابن الحاج الفقيه القاضي كما في شجرة النور ٢٣٢/١.

(١٦) له فهرسة تتضمن إجازته العامة، جمعها له تلميذه محمد بن عبد السلام بناني. انظر: فهرس الفهارس ١١٨/١، الحياة الأدبية ص ١٣٧.

(١٧) وقد يُشكل على هذا ما قرره المترجمون للسجلماسي من أنه لم يدخل فاسا لطلب العلم إلا عام ١١١٠هـ، أي بعد موت ابن الحاج بسنة، فكيف يتسنى له أن يأخذ عنه؟ اللهم إلا إذا تكرر دخوله فاسا قبل هذا التاريخ، وهو الظاهر، والله تعالى أعلم.

(١٨) فهرسته (ورقة ٨).

٢ - أبو عبدالله محمد بن أحمد القسنطيني الحسني (ت ١١١٦هـ)^(١٩)
علامة الزمان، وفريد العصر والأوان، وفارس المعقول والمنقول، وقدوة أهل الدراية
والتدقيق. رحل من بلده إلى فاس، وتصدر للتدريس بها فأفاد وأجاد، وأتى في دروسه
بما يبهر العقول والألباب.

سمع منه السجلماسي «صحيح البخاري»، وجملة صالحة من التفسير، ومختصر
الشيخ خليل إلى الصداق، كما سمع منه العقيدة الصغرى للسنوسي مرارا^(٢٠).
فهو حافظ مطلع، وينفائس العلوم متضلّع. له أجوبة حسنة في نوازل كثيرة، دالة
على مهارته، وإتساع ملكته. ولا نشغاله بالتدريس لم يتفق له التصنيف، وإلا فهو أحق
بها^(٢١).

٣ - أبو عبدالله محمد بن عبدالقادر الفاسي (ت ١١١٦هـ)^(٢٢)
الفقيه المشارك المتفنن، الدراكة المحقق المتقن. أحد أعلام فاس البارزين، وبدرها
الطالع في أفق سمائها. بهر العقول في المعقول والمنقول، وأحرز قصب السبق في علوم
شتى. كالنحو والبيان والمنطق والحديث والسير والأصول والفقه والتصوف.
أخذ عنه عامة طلبة فاس وعلمائها ممن أدركوه؛ ومنهم فقيهنا السجلماسي^(٢٣).
ألف في اللغة والنحو والفقه والمنطق. وكان عمدة الناس في الحوادث الوقتية، ومرجعهم
في النوازل المستجدة.

٤ - أبو العباس أحمد بن علي الجيروني الأندلسي الفاسي (ت ١١٢٥هـ)^(٢٤)
العالم الورع، الدراكة المشارك، القدوة الناصح. إمام مسجد الشرفاء بفاس، ومدرس
العلوم فيه. أخذ عن مشايخ فاس، وصحب أحمد بن محمد مَعْن^(٢٥) وانتفع به. عُيِّن
قاضيا فاحتال لنفسه في الفرار منه بأن تحامق حَتَّى أُقِيل.

(١٩) ترجمته في: نشر المثنائي ١٥٤/٢، التقاط الدرر ص ٢٩٣، السلوة ٣٠/٢، الشجرة ٢٢٩/١.

(٢٠) نص على ذلك في فهرسته (ورقة ٧-٨).

(٢١) كما يقول القادري في نشر المثنائي ١٥٥/٣.

(٢٢) ترجمته في: نشر المثنائي ١٥١/٢، التقاط الدرر ص ٢٩٢، السلوة ٣١٦/١، الشجرة ٢٢٩/١.

(٢٣) كما نص في ذلك الحوات في الروضة المقصودة ص ٢٩١، والكتاني في السلوة ١٦/٢.

(٢٤) ترجمته في: نشر المثنائي ٢١٥/٢، التقاط الدرر ص ٣٠٨، السلوة ١٦/٢.

(٢٥) من العارفين بالله، وأكابر أهل الحقيقة في زمنه، وممن رسخت قدمه في اتباع السنة على قدم

السلف الصالح. توفي رحمه الله عام ١١٢٠هـ. انظر: نشر المثنائي ١٨٢/٢.

أخذ عنه السجلماسي، وحلاه بقوله: «ومنهم شيخنا الإمام، المتواضع الهُمام، أبو العباس سيدي أحمد الجيروندي، عن شيخ الجماعة، وإمام أهل الصناعة...»^(٢٦).

٥ - أبو عبدالله محمد العربي بن أحمد بردلة الأندلسي الفاسي (ت ١١٣٣هـ)^(٢٧)
عالم فاس وفقيهها، وشيخ الجماعة بها، وقاضيهما العادل، خاتمة العلماء المحققين. كان له معرفة بالعربية والفقه والنوازل. انتفع به جماعة من أهل فاس؛ منهم فقيهنا السجلماسي^(٢٨) وغيره. له أجوبة فقهية دالة على اتساع محصوله المعرفي.

٦ - أبو عبدالله محمد بن أحمد بن محمد المسناوي الدلائي (ت ١١٣٦هـ)^(٢٩)
أحد أركان القرويين بفاس، وممن نفخ فيها روح التجديد^(٣٠). كان آية في الحفظ والإتقان، وحجة في صحة الفهم والإدراك. رُزق ملكة عجيبة في التدريس، وعارضة قوية في الفتوى، فأصبح الحجة فيها، والعمدة فيما يستجد من نوازل ومعضلات. تلمذ له كثير من المشايخ؛ كأبي عبدالله ميارة الصغير، وأبي محمد عبدالقادر الفاسي، وأبي العباس السجلماسي، الذي سمع منه «مختصر السعد على التلخيص»، و«مختصر الشيخ السنوسي في المنطق»، و«ألفية ابن مالك». وأجاز له في جميع ما لديه^(٣١).

له مؤلفات عديدة في التراجم والفقه والتصوف والأدب^(٣٢).

٧ - أبو علي الحسن بن رجال المعداني التادلي (ت ١١٤٠هـ)^(٣٣)
أجل أعلام الزمان، وكبراء الأوان. له عارضة كبيرة في الفقه، واتساع عظيم في

(٢٦) فهرسته (ورقة ٨).

(٢٧) ترجمته في: نشر المثاني ٢/٢٤٧، التقاط الدرر ص ٣٢٠، السلوة ٣/١٣٨، الشجرة ١/٣٣٢.

(٢٨) كما في الروضة المقصودة ص ٢٩١، والسلوة ٢/٢٠٣.

(٢٩) ترجمته في: نشر المثاني ٢/٢٦٥، التقاط الدرر ص ٣٢٧، السلوة ٢/٤٤، الشجرة ١/٣٣٣.

(٣٠) ولا أدل على ذلك من انتصاره لسنة القبض في الصلاة في رسالته «نصرة القبض والرد على من أنكر مشروعيته في صلاتي النفل والفرص» في وقت كان جل الاعتماد فيه على الفرعيات المنقولة عن فقهاء المذهب، دون الرجوع إلى الأصول الثابتة والسنن الصحيحة، فكان ذلك من أعلام تجديده وترفعه عن التقليد. طبعت رسالته بتطوان عام ١٣٦٧هـ.

(٣١) كما نصَّ على ذلك في فهرسته (ورقة ٩-١٠).

(٣٢) انظرها في: التقاط الدرر ص ٣٢٨، مؤرخو الشرفا ص ٢١٤، الحياة الأدبية ص ١٩٧-١٩٩.

(٣٣) ترجمته في: نشر المثاني ٢/٢٩٤، التقاط الدرر ص ٣٣٨، الشجرة ١/٣٣٤، النبوغ ١/٢٩٧.

النوازل، وتدبر قوي في الفتوى والقضاء. تولى التدريس بالمدرسة المتوكلية من طالعة فاس، فكان له صبر على الإقراء والبحث والمناقشة لا يقاوم حتى دُعي صاعقة العلوم. كان من حفاظ المذهب، ومن أركانه التي يرجع إليها في فتاويه. أخذ عنه السجلماسي الفقه^(٢٦)، وشهد له بإصابة الحق، وقطع دابر الخلاف في بعض أبحاثه التي اطلع عليها.

- خلف مؤلفات تعتبر غاية في التحرير والإتقان والجمع والتحصيل؛ منها:
- حاشية كبرى على مختصر خليل (خج: ٢٥٩؛ ٨٦٨ك).
- حاشية على شرح ميارة لتحفة ابن عاصم (خج: ٨٧٣).
- الارتفاق في مسائل من الاستحقاق (خج: ١٠٧٩ د) ^(٢٦).
- ضمان القناع عن مسائل الصناعات (خج: ١٤١٨ د) ^(٢٧).
- البارع في أحكام النجوم (خج: ٢٨٨ك).
- ولي قضاء فاس الجديد، وقضاء مكناس، وبها توفي في رجب عام ١١٤٠هـ.

٨ - أبو الحسن علي بن أحمد الحريشي (ت ١١٤٢هـ) ^(٢٨)

العلامة المحدث، المسند العمر الرجال. تلقى العلم عن سيدي عبد القادر الفاسي وجماعة. وقرأ عليه السجلماسي علوما كثيرة، كما ذكر في إجازته للمكودي، حيث قال: «شيخنا الإمام، القدوة الهمام، أبو الحسن سيدي علي الحريشي الفاسي. قرأت عليه صحيح البخاري من أوله إلى آخره وهو يسمع، وقرأت عليه شمائل الترمذي من أوله إلى آخره بقراءتي وهو يسمع، وقرأت عليه صحيح مسلم بقراءتي وهو يسمع، ولم نكمل، وقرأت عليه جملة صالحة من التفسير» ^(٢٩).

(٢٤) قال في فهرسته (ورقة ١٢): شيخنا في الفقه شيخ الإسلام سيدي الحسن بن رجال المعداني رحمه الله.

(٢٥) يرمز للخزانة العامة بالرباط برمز: خج، وللخزانة الحسنية بالرباط أيضاً ب: خج.

(٢٦) نشرته مكتبة الرشد بالرياض عام ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م بتحقيق الأستاذ محمد بن سليمان المنيمي.

(٢٧) نشرته بيت الحكمة بتونس ١٩٨٦م، ودار البشائر ببيروت ١٩٩٦م، بتحقيق د. محمد أبو الأجفان.

(٢٨) ترجمته في: نشر المثاني ٢/ ٣٦١، النقاط الدرر من ٢٥٩، سلك الدرر ٣/ ٢٠٥، تحفة المحبين والأصحاب للأنصاري من ١٨١، الشجرة ١/ ٣٢٦، فهرس الفهارس ١/ ٢٤٢.

(٢٩) فهرسته ورقة ٨-٩.

استجازه السجلмасسي فأجازه. قال القادري^(١١): «واستجازه شيخنا سيدي أحمد بن مبارك السجلмасسي، عن سيدي عبدالقادر الفاسي...».

له إقدام على التأليف، فشرح «موطأ مالك»، و«كتاب الشفاء» لعياض، و«شمائل الترمذي». واختصر «الإصابة» لابن حجر، و«نفح الطيب»، وغيرهما. إلا أن أهل عصره لم يدعوا له، ولم يسلموا له، وأكثروا عليه من القيل والقال، حتّى قال فيه عبدالله بن عبدالسلام جسوس منظومة؛ منها:

قل للحريشي الجهول الذي يزعم أن صنف شرح الشفاء
نسخت شروح الألسى سلفوا ولفظهم في نقولها حرفا
توجه للحج، وتوفي بالمدينة المنورة في غرة جمادى الأولى عام ١١٤٢هـ^(١٢)، ودفن بالبقيع.

٩ - أبو فارس عبدالعزيز بن مسعود الدباغ الحسني (ت ١١٤٢هـ)^(١٣)

شيخ صوفي من الأسرة الإدريسية بفاس، كانت تظهر على يديه كرامات وكشوفات يحدث عنها الناس، ثم وقع له الفتح - كما في الإبريز^(١٤) - يوم الخميس ثامن رجب عام خمسة وعشرين ومائة وألف، نتيجة مواظبته على تلاوة ورد سبعة آلاف مرة. كان من الشيوخ الأوائل الذين تأثر بهم السجلмасسي بفاس أيما تأثر، وألف في حقه كتابا سماه «الذهب الإبريز، في مناقب الشيخ عبدالعزيز». وحدث عنه بمجانب في أنواع من الكشف وأسرار النبوة، وحلاه بأوصاف تقف عندها العقول. وكان أول اجتماعه به - كما صرح^(١٥) بذلك - في رجب سنة خمس وعشرين ومائة وألف. وقد بالغ السجلмасسي في الثناء على شيخه لما شاهد من علومه ومعارفه، وشمائله ومكاشفاته، مع أنه أمي لم يتعاط العلم. قال الكتاني^(١٥): «كان له علم عظيم مع أنه لم

(٤٠) في نشر المثاني ٣/٣٦٢، وانظر: فهرس الفهارس ١/٣٤٣.

(٤١) حسب رواية المرادي في سلك الدرر ٢/٢٠٥، ولعلها الأصح. أما القادري في النشر ٢/٣٦١، والتقاط الدرر ص ٢٥٩، فقد أجل وفاته إلى عام ١١٤٥هـ. وجملها محقق «تحرير مسألة القبول» (ص ٥٧) عام ١١٤٨هـ، ولا أدري ما معتمده في ذلك.

(٤٢) ترجمته في: نشر المثاني ٢/٢٤٥، التقاط الدرر ص ٣١٥، السلوة ٢/١٩٧.

(٤٣) في الذهب الإبريز ص ١٤.

(٤٤) في الذهب الإبريز ص ٥.

(٤٥) في السلوة ٢/١٩٨.

يتعاط شيئاً منه لا في صغره ولا في كبره، بل ولا قرأ القرآن، ولا يحفظ إلا سوراً قليلة من حزب (سبح). وإذا سمعته يتكلم في تفسير آية سمعت منه العجب العجائب»^(٤٦). ويبدو أن السلجماسي قد انقاد بكليته إلى شيخه، وتمكنت محبته من ظاهره وباطنه، فسلبت له الإرادة في علمه وعمله، وتبعه بقلبه وقالبه، حتّى لا يكاد يسلو عنه طرفة عين، فظهرت عليه آثار صحبته، وانتفع غاية النفع بمعرفته^(٤٧). وتوفي الدباغ عام اثنين وأربعين ومائة وألف^(٤٨)، ودفن خارج باب الفتوح، وقبره معروف بفاس إلى الآن.

١٠ - أبو العباس أحمد الحبيب بن محمد اللّمطي السجلماسي (ت ١١٦٥هـ)^(٤٩)
 الفقيه المدرس، الزاهد الكبير، أشهر قراء سجلماسية، وهو ابن خالة السجلماسي وشيخه قبل أن يرحل إلى فاس. صرح جل من ترجم لابن المبارك أنّه جمع على يديه القراءات القرآنية برواياتها السبع، كما قرأ عليه طرفاً من قواعد النحو. تصوف وظهرت على يديه كرامات. توفي في رابع المحرم عام خمسة وستين ومائة وألف، ودفن بداره من اللّمط من سجلماسية.

(٤٦) قلت: هذا كلام غريب، يحتاج مثله إلى دليل صحيح.

(٤٧) انظر: الروضة المقصودة ص ٢٩٢، السلوة ٢/٢٠٤، تحرير مسألة القبول ص ٦٢.

(٤٨) هذا ما سطره القادري في نشر المثاني ٢/٢٤٦، إلّا أنه في التقاط الدرر (ص ٢١٥) جعل وفاته عام اثنين وثلاثين ومائة وألف. وهو الذي يتناسب مع ما قرره السجلماسي في كتاب الإبريز من أن جل ما قيده فيه عن شيخه، إنما هو ما سمعه منه خلال شهور رجب وشعبان ورمضان وشوال وذي القعدة من عام تسع وعشرين ومائة وألف، معلقاً على ذلك بقوله: «فعلمت أنني لو قيدت ما سمعت منه في السنين الأربع الماضية لكان أزيد من مائتي كراس، وآفة العلم عدم التقييد». ولو امتد به العمر إلى عام ١١٤٢هـ لما انقطع السجلماسي عن الاستمداد منه، واللّه تعالى أعلم.

(٤٩) ترجمته في: نشر المثاني ٤/٩٤، التقاط الدرر ص ٤٢٤، السلوة ٢/٢٤٩، الشجرة ١/٢٥٤.

وللسجلماسي غير ما ذكر من المشايخ^(٥٠). كما كانت له أسانيد عالية في رواية الحديث^(٥١)، وأُمّات كتب المذهب المالكي^(٥٢).

تلاميذه

تلقى العلم من فقيهنا السجلماسي جماعة لا يحصون، حملوا راية المعرفة بعده، فأصبحوا فرسان الفكر، وبدور الهدى في سماء المعارف والفنون. نجتزئ منهم طائفة نعرض أسماءها عرضاً، وأخرى نخصصها بكلمة موجزة لشدة اتصالها بالشيخ، وطول تردها على دروسه.

أما الأولى؛ فمنها: أبو عبدالله محمّد بن محمد - بفتح الميم - المدعو بابن عزوز (ت ١١٥١هـ)^(٥٣)، وأبو عبدالله محمّد الهادي بن محمّد الشريف الحسني (ت ١١٦٣هـ)^(٥٤)، وأبو علي الحسن بن علي المعروف بأبي عنان الشريف (ت ١١٦٣هـ)^(٥٥)، وأبو عبدالله محمّد بن أحمد المدعو بابن الرخاء اللمطي (ت ١١٦٣هـ)^(٥٦)، وأبو عبدالله محمّد بن طاهر الفاسي (ت ١١٧٨هـ)^(٥٧)، وأبو عبدالله محمّد بن أحمد بن محمّد بن عبد القادر الفاسي (ت ١١٧٩هـ)^(٥٨)، وأبو عبدالله محمّد المدعو أبو مدين بن أحمد الفاسي (ت ١١٨٢هـ)^(٥٩)، وأبو العباس أحمد حمدون بن محمّد الطاهر الجوطي (ت ١١٩١هـ)^(٦٠)، وأبو

(٥٠) أمثال أبي عبدالله محمّد بن عبدالسلام البناني (ت ١١٦٣هـ) كما في مناقب الحضيكي ١/١١٢، وعبدالسلام الحلوي الذي قرأ عليه النحو كما في نشر الثاني ٤/٤١، وأبي علي الحسن اليوسي (ت ١١٠٢هـ) كما في شجرة النور ١/٢٢٨. وفي سماع السجلماسي من اليوسي ولقائه به نظر. انظر: فهرس الفهارس ٢/١١٥٨.

(٥١) فقد روى «الصحيحين» بالسند المتصل إلى مؤلفيهما: كما في فهرسته ورقة ٧، وفهرسة محمّد بن سيدي قاسم القادري ص ٨.

(٥٢) انظر: فهرسة السجلماسي ورقة ٨، فهرسة التاودي ص ٨.

(٥٣) نشر الثاني ٩/٤.

(٥٤) نفسه ٧/٤.

(٥٥) نفسه ٧٦/٤.

(٥٦) نفسه ٧٧/٤.

(٥٧) الشجرة ١/٣٥٤.

(٥٨) الشجرة ١/٣٥٥.

(٥٩) نفسه.

(٦٠) مؤرخو الشرفا ص ٢٢٢.

الحسن زين العابدين المدعو زيان بن هاشم العوافي الحسني الفاسي (ت ١١٩٤هـ)^(٦١)،
وأبو المحاسن يوسف بن أحمد بن ناصر الدرعي^(٦٢).
وأما الثانية، فتعرض منها:

١ - أبو العباس أحمد بن حسن المكودي المعروف بالورشاتي (ت ١١٦٩هـ)^(٦٣)
نزّل تونس. أخذ عن السجلماسي بفاس، وتردد لدروسه الزمن الطويل. استجازه
من تونس، فأجازه إجازة عامة سنة ١١٤٢هـ، جاء فيها: «فإن الفقيه الوجيه، المدرس
النزيه، صاحب الفهم الفواص، الذي يعجز عنه كثير من الخواص؛ أبا العباس سيدي
أحمد المكودي... طلب من العبد الحقير، المعترف بالقصور والتقصير، أن يجيزه فيما
لديه من معقول ومنقول، وفروع وأصول. فأجبت به إلى ذلك جبرا للخاطر، ورعيا لما
عسى أن يكون له فيه من النفع الحاضر»^(٦٤). إلى أن قال: «وقد أجزت أخانا في الله
ومحبنا فيه، الفقيه المستجيز في جميع ما أجازنا فيه أشياخنا رحمهم الله، وفي جميع
ما لدينا من تقاليد ومقطعات...»^(٦٥).

تقلد الفتيا بتونس، وتصدر للتدريس، ورأس إفتاء المالكية بها. قال عنه الشيخ
الفاضل بن عاشور: «وبمقدم الشيخ أحمد المكودي اجتمعت لفاس مع سمعتها العلمية
بتونس، سمعة أخرى رفيعة في صناعة الحديث والإسناد، وعلت السمعيات. وهو
تلميذ الشيخ الحريشي، والشيخ أحمد بن مبارك. فاستقر بتونس، وولي الإفتاء بها،
ووصل أسانيدها من طريق شيخه بأسانيد الشيخ عبدالقادر الفاسي»^(٦٦).

٢ - أبو العباس أحمد بن عبدالعزيز الهلالي السجلماسي (ت ١١٧٥هـ)^(٦٧)
الفقيه المحدث الأديب. قرأ بسجلماسة على أحمد الحبيب، وحضر في فاس

(٦١) الشجرة ١/ ٢٤٧.

(٦٢) نفسه ١/ ٣٥٨.

(٦٣) ترجمته في: الشجرة ١/ ٢٤٦، الفكر السامي ٢/ ٢٩٠.

(٦٤) فهرسة السجلماسي ورقة ٧-٨.

(٦٥) نفسه ورقة ١٠.

(٦٦) فاس من خلال المخطوطات التونسية ص ١١ (مقال بمجلة المغرب، ع. ٦-٧، سنة ١٩٦٥م) نقلًا
عن: تحرير مسألة القبول ص ٦٥.

(٦٧) ترجمته في: نشر المثاني ٤/ ١٤٣، التقاط الدرر ص ٤٤٣، الشجرة ١/ ٢٥٥، اليواقيت الثمينة
ص ٢١، فهرس الفهارس ٢/ ١٠٩٩.

مجالس ابن المبارك، والكبير السريغيني وغيرهما^(٦٨)، فصار إماماً في تحصيل العلوم وتحقيقها.

حج مرتين، ولقي مشايخ الحرمين، وانتهى به المطاف في سجداسة حيث توفي يوم ٢١ ربيع الأول عام ١١٧٥ هـ. وله تراث فكري هام في الفقه واللغة والحديث؛ نذكر منه:

- تفسير القرآن الكريم (خ ح: ٥٣٤٥ بها خروم شديدة بالهامش).
- نور البصر في شرح المختصر (لم يتم. طبع طبعة حجرية).
- عرف الند في حكم حذف المد (خ ع: ١٢٧١ د، ١٦٤١ د).
- المراهم في أحكام فساد الدراهم (خ ع: ١٠٨١ د). وغيرها كثير^(٦٩).

٣- أبو العلاء إدريس بن محمد العراقي الحسني الفاسي (ت ١١٨٣ هـ)^(٧٠)
انفرد بالإمامة في الحديث في وقته، فكان لا يقاومه فيه أحد، واعترف له بذلك شيوخه وأقرانه حتى لقبوه بسيوطي زمانه. داوم على حضور مجالس ابن المبارك حتى صار أنبغ تلاميذه، فكان يبالغ معه في تحقيق مسائل الحديث، ويشير إلى الرجوع إليه فيه^(٧١). قال في فهرسته: «وسمعت على شيخنا ومفيدنا وعمدتنا الشيخ العالم المشارك المحقق المتفنن، الشيخ أبي العباس أحمد بن مبارك بعض مجالس في التفسير، وفي قراءة الشيخ خليل، وجمع الجوامع لابن السبكي. وقرأت عليه مقدمة أطراف المقدسي، وغير ذلك. ولما جمعت شرحي على إحياء الميت أوقفته عليه، فاستحسنه ودعا لي بخير، وكتب على ظهره بخط يده، فجزاه الله عني خيراً...»^(٧٢).
له تآليف نافعة في الحديث والفقه^(٧٣).

(٦٨) قال في الروضة المقصودة ص ٢٩٤: «ومعتمده بفاس الشيخ الإمام، الحافظ المتبحر، بلدي أبو العباس أحمد بن مبارك السجلماسي اللمطي الصديقي».

(٦٩) راجع: التقاط الدرر ص ٤٤٤، الحياة الأدبية ص ٢٨٢-٢٨٤.

(٧٠) ترجمته في: نشر المثاني ١٩٣/٤، السلوة ١٤١/١، فهرس الفهارس ٨١٨/٢. اليوافيت الثمينة ص ٧٣.

(٧١) انظر: نشر المثاني ١٩٤/٤، فهرس الفهارس ٨١٩/٢.

(٧٢) فهرسة المراقي ص ١٨٩-١٩٠ (قدمها خالد التواج لنيل ماجستير بكلية الآداب بالرباط عام ١٩٩٤) نقلاً عن: تحرير مسألة القبول ص ٦٧.

(٧٣) راجعها في الحياة الأدبية ص ٢٩٦-٢٩٧.

٤ - أبو عبدالله محمد بن الطيب الحسني القادري (ت ١١٨٧هـ)^(٧٤)

العلامة المؤرخ، النسابة الواعية. تحدث عن شيخه السجلماسي في كتابه «نشر المثاني» قائلاً: «وأخذ عنه جماعة من طلبة فاس. وقرأت عليه معهم صفري السنوسي وشرحها لمصنفها، وشرح المحلي على جمع الجوامع شرحاً وممتناً، وشفا عياض، وطرفها من السُّلم. وحضرت مواضع من التفسير والبخاري»^(٧٥).

من آثاره: نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، والتقاط الدرر في أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر، وهما مطبوعان. والإكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج، وغيرها^(٧٦).

٥ - أبو حفص عمر بن عبدالله الفهري الفاسي (ت ١١٨٨هـ)^(٧٧)

إمام نظار، وفقه مكثر. أخذ عن والده، وقرأ علوم الجدل، والأصلين، والبلاغة، والمنطق، وتفسير القرآن العظيم، على الشيخ أحمد بن مبارك اللمطي. ومن آثاره - كما يقول الحجوي^(٧٨) - «شرح على التحفة، مهم عديم النظر، دل على بابه وسعة اطلاعه. وشرح على الزقاقية. وفتاوى مهمة للعويصات المدلهمة. وله درجة عالية في الأدب، ومشاركة نادرة. وهو ممن وصف بالاجتهاد».

٦ - أبو محمد عبدالقادر بن العربي بوخريص الفيلاي ثم الفاسي (ت ١١٨٨هـ)^(٧٩)

المحدث الفقيه المشارك. أخذ العلم عن جماعة، وكان عمده الذي أفتى عمره في خدمته أبو العباس السجلماسي. أسند إليه القضاء عام ١١٣٥هـ فسار فيه بالعفة والنزاهة، حتى لقب آخر القضاة من أهل العلم^(٨٠).

(٧٤) ترجمته في: الشجرة ١/ ٢٥٢، النبوغ ١/ ٢٠٣، مؤرخو الشرفا ص ٢٢٧، الحياة الأدبية ص ٢٠٤.

(٧٥) النشر ٤/ ٤٢.

(٧٦) راجع تراثه في: مؤرخو الشرفا ص ٢٢٨-٢٣١، الحياة الأدبية ص ٢٠٤-٢٠٥.

(٧٧) ترجمته في السلوة ١/ ٣٢٧، الشجرة ١/ ٣٥٦، الفكر السامي ٢/ ٢٩١.

(٧٨) في الفكر السامي ٢/ ٢٩٢.

(٧٩) ترجمته في: السلوة ٢/ ٤٢، الشجرة ١/ ٣٥٦.

(٨٠) السلوة ٢/ ١٢-١٣.

٧ - أبو العباس محمد بن الحسن البناني (ت ١١٩٤هـ)^(٨١)

العلامة المحقق، المفيد المدقق. أخذ عن أعلام كبار؛ منهم العلامة السجلماسي، الذي استفاد منه، واختصر رسالته «رد التشديد في مسألة التقليد». حج وزار، وأفاد واستفاد. له تأليف محررة مفيدة؛ منها: حاشية على شرح الشيخ عبد الباقي الزرقاني على المختصر متقنة، وشرح على السُّلم، وحواش على التحفة.

٨ - أبو عبدالله محمد التاودي بن محمد الطالب بن سودة المري (ت ١٢٠٩هـ)^(٨٢)

الفقيه المحقق المشارك. انتهت إليه رئاسة العلم بالمغرب في عصره، وانفرد بعلو الإسناد حتّى صار شيخ الشيوخ. تلقى العلم عن ثلة من المشايخ، جمعهم في «فهرسته»، منهم العلامة السجلماسي الذي كان عمدته في رواية الحديث، قال مبينا ذلك: «قرأت عليه المنطق والكلام والبيان والأصول والتفسير والحديث. ولازمته مدة مديدة، وافردته بالأخذ عنه سنين عديدة. وأكثر الكتب كالسعد، والمحلي، والمواقف، وغيرها، كنتُ القارئ عليه بلفظي. وأجازني، وأذن لي في قراءة البخاري، فأقرأته في حياته وبمراى منه ومسمع. وكان رضي الله عنه يرضى عني، ويودني، ويؤثرنِي، ويقدمني»^(٨٣).
له تأليف مفيدة؛ منها:

- حاشية على صحيح البخاريّ تسمى: زاد المجد الساري لمطالع البخاري.
- جامع الأمهات من أحاديث العبادات والصلوات.
- شرح الأربعين النووية، وغيرها^(٨٤). قال العلامة الحجوي: «الكل مطبوع بفاس إلا الرحلة، وحاشية الزرقاني».

٩ - أبو عبدالله محمد بن عبد السلام بن محمد الفاسي (ت ١٢١٤هـ)^(٨٥)

خاتمة المحققين لتوجيه القراءات بالمغرب. قرأ علوم البلاغة والمنطق والجدل على الشيخ ابن المبارك. له مؤلفات جلييلة في علم القراءات^(٨٦)؛ منها:

-
- (٨١) ترجمته في: السلوة ١/١٦١، الشجرة ١/٣٥٧، الفكر السامي ٢/٢٩٢.
 - (٨٢) ترجمته في: السلوة ١/١١٢، الشجرة ١/٣٧٢، الفكر السامي ٢/٢٩٤، فهرس الفهارس ١/٢٥٦، النبوغ المغربي ١/٣٠٢.
 - (٨٣) فهرسة التاودي ورقة ٩٠-٩١. نقلا عن تحرير مسألة القبول ص ٧٠.
 - (٨٤) انظر: الحياة الأدبية ص ٣٢٤-٣٢٥، تحرير مسألة القبول ص ٧٠.
 - (٨٥) ترجمته في السلوة ٢/١٤٦، الشجرة ١/٢٧٤، فهرس الفهارس ٢/٨٤٨ م.
 - (٨٦) انظر: مؤرخو الشرفا ص ٢٣٥، الحياة الأدبية ص ٣٤١-٣٤٢، تحرير مسألة القبول ص ٧١.

- شرح دالية ابن المبارك الوراق في وقف حمزة وهشام، وفي الهمز.

- حاشية على شرح الجعبري على حرز الأمانى.

قال الكتانى: «وغير ذلك من التأليف إلى ما لا يحصى من الفتاوى والمقايدات والإفادات والإنشادات»^(٨٧).

مكافته العلمية وثناء العلماء عليه

تبوأ الحافظ السجل ماسى منزلة علمية كبيرة، أهّلته لأن تسلّم له رئاسة العلم بحاضرة فاس في زمنه^(٨٨). وتأثّل من المكانة والشهرة ما جعل الأنظار تلحظه بكثير من الإجلال والإعظام. فكانت مجالسه من أعظم المجالس العلمية بفاس، يحضرها الجم الغفير من خيرة الطلبة وعلية الفقهاء، ويقصده النّاس من جميع الجهات بالسؤال والاستفتاء.

فقيه مبرز، وعالم متضلع، له اليد الطولى في العلوم الشرعية والآلية، والمشاركة المتميزة في العلوم العقلية والكونية. ساهم في تجديد رسوم الفقه، والتوجيه به نحو التخلص من آراء الفقهاء المجردة، وأقوال الخلافيين غير المسندة. وما ذلك إلاّ لتمكّنه من العلم الأصيل، واطلاعه على آثار المتقدمين، مع حُسن النظر في الكتاب والسنة. تميّز بمذهب مالك، إلاّ أن ذلك لم يمنعه من كونه مالكيًا متحرراً، وباحثًا منصفًا. ناقش كبار المالكية والشافعية والحنفية دون تعصب. وردّ عليهم في أدب جم، وتواضع رفيع.

علامة متقن، وإمام حجة. انتهت إليه الرئاسة في جميع العلوم من عربية وبيان، ومنطق وكلام، وفلسفة وحساب، وفقه وأصول، وتصوف وحديث، وتفسير وقرآيات. واستكمل أدوات الاجتهاد على الخصوص والعموم.

أحرز قصب السبق في المعقول والمنقول، وانفرد بالمهارة في التدريس والتحقيق، والجدة في التحرير والتدقيق. له القدرة الفائقة في مجال الاستنباط، «والمملكة القارة في قوة الاقتدار على استخراج جواهر العويص من عباب الأفكار. تقدم حتّى لم يكن له مواز في الدنيا منذ أزمان؛ في سرعة الحفظ، وجودة الضبط والإتقان، كأنه بحر زخار متلاطم الأمواج، وشمس أغنت بإشراقها الصبح عن الإبلاج....

(٨٧) سلوة الأنفاس ١٤٨/٢.

(٨٨) نشر المثنائي ٤٢/٤، السلوة ٢٠٢/٢.

وكانت له عارضة في التدريس لم تكن لغيره حفظاً وبحثاً ومعارضة واستنباطاً. ينفرد بآراء من أنظاره واضحة الدلالات على سنن أهل الاجتهاد، مصرحاً لنفسه به في عموم مجالسه، ولا يبالي بمن يخالفه فيما ينفرد به من متقدمين أو متأخرين^(٨٩). أصولي متمكن، ونظار متبحر، غلب عليه علم الأصول حتّى صار تخصصه الأوّل بالأصالة، وجاءت سائر الفنون في تكوينه تبعاً له.

عمّ الفنون بالإدراك والتحقيق، وشارك فيها بالتحريير والتدقيق، وسائل ومقاصد. كانت له أقوال وأبحاث، واعتراضات واستدراكات، وأجوبة وتعليقات، تدل على أنّه لم يكن من أهل التقليد، المكتفين بنقل أقوال الغير وترديدها. بل هو راسخ القدم، مكين الاطلاع، له رأي وتصرف فيما يقدم. فلا تجده يتباحث إلاّ مع الأصوليين الكبار، المؤسسين لأركان هذا العلم وقواعده؛ أمثال: الباقلاني، والباجي، والجويني، والغزالي، والرازي، والآمدي، والأبياري، والقرافي، والشاطبي. يتناول فهم هؤلاء بالنقد والتقويم، ويسوق كلامهم مساق تفحص وتدبر وتمحيص. يحدوه في كل ذلك حرص شديد على إظهار المحاسن والعيوب.

أعجب كثيراً بالأصولي المالكي الكبير، شارح البرهان، الإمام الأبياري، واستشهد بكلامه في أكثر من مسألة أصولية خاض فيها. بل بالغ في الإشادة به وبأبحاثه حتّى كاد يقدمه على أقطاب الفن. قال مُنَوَّهاً به: «والإمام الأبياري من أكابر فحول الأصوليين، وهو من حيث الرفعة في طبقة القاضي الباقلاني، وإمام الحرمين، والغزالي. ولا يتباحث إلاّ مع هؤلاء الثلاثة»^(٩٠).

ومما يلفت النظر في تراث السجلماسي عموماً، وفي أبحاثه الأصولية خصوصاً، أمران:

أحدهما: إعداده الجيد للقضايا الأصولية التي يبحثها، ومراجعته العديد من المصادر والمراجع قبل إبداء الرأي فيها، واستشعاره المسؤولية العلمية التي طوقها. ففي جوابه عن سؤال وجه إليه يتعلق بتحرير الوصف النفسي على طريقة المتكلمين: قال: «وقد رأيتُ المسألة - أي تحرير الوصف النفسي - في نحو من أربعين مؤلفاً ما

(٨٩) الروضة المقصودة ص ٢٩١-٢٩٢ (بتصرف يسير).

(٩٠) أسئلة وأجوبة من كتاب ابن عرفة في مختصره ورقة ٧. نقلاً عن تحرير مسألة القبول ص ١٠٩.

بين مطول ومختصر، وأصولي وكلامي»^(٩١). وفي بحثه في مُنْكَرِ حجية الإجماع هل يكفر أو لا يكفر؟ قال في كتابه «إزالة اللبس عن المسائل الخمس»: «إن هذه المسألة ينبغي الاعتناء بها، وبسط القول فيها إلى غاية ما يمكن. وقد راجعتُ فيها نحواً من خمسين مؤلفاً من المطولات»^(٩٢).

الثاني: الجدة والابتكار فيما يطرق من موضوعات. ويتجلى ذلك في كونه لم يحدِ حذو المتقدمين في هذا العلم يَطْرُقُ الأبواب الأصولية كلها. بل لتمكنه من هذا العلم، وتبحره في قضاياها جملة وتفصيلاً، لجأ إلى طريقة أخرى أكثر عمقاً، وأجدى نفعا؛ وهي اختيار جزئية أصولية معينة لم يستوف المتقدمون البحث والنظر فيها، فيتناولها بتعميق البحث، وتدقيق النظر، وإزالة الفكر، وتحرير القول، والخروج برأي مدعم بالأدلة والحجج والبراهين؛ وذلك كيبحثه في التقليد، وبحثه في دلالة العام، وبحثه في قبول الأعمال، وبحثه في منكر الإجماع وحجتيته.

ناهيك عما يتسم به تناوله لهذه القضايا من عمق في التحليل، وطول نفس في النقاش، وكشف لما يكتنف بعضها من لبس وإبهام، ثم إبداء ما يظهر له فيها من رأي أصيل، أو إدراك سليم، أو فهم محرر، أو نقد بناء.

وعلى الجملة، فالرجل نسيج وحده في أصالة النظر، وجودة القريحة، وتسديد الفهم. يملك عارضة قوية في المقابلة بين أقوال العلماء، والتباحث معهم، وإجابتهم بمقتضى الصناعات والآلات، حتَّى قال تلميذه القادري في النشر^(٩٣): «ولا يبالي بمن يخالفه كبيراً أو صغيراً، تقدمه أو تأخر عنه. ويصرح لنفسه بالاجتهاد المطلق. ويرد على الأكابر من المتقدمين والمتأخرين. ويصرح بأنهم لو أدركوه لا نتفعوا به». وقال في التقاط الدرر^(٩٤): «وكاد أن لا يحصل منه إذعان لواحد من كبراء المتقدمين وبأحرى المتأخرين».

عرف له المتقدمون هذه المزايا، فأثثوا عليه ثناء عطرأ، وخصَّوه بأوصاف تتبى عن عظيم فضله، وعلو كعبه، واتساع أفقه. وهي شهادات ملؤها العرفان والتقدير والإجلال. وهذه بعض من هذه الشهادات في الثناء عليه، وبيان منزلته:

(٩١) تحرير الوصف النفسي ورقة ٣٠٤. (خ ع: ١٠٩٢ ك).

(٩٢) إزالة اللبس ورقة ٤٢.

(٩٣) ٤١/٤. وانظر: الروضة المقصودة ص ٢٩٢، السلوة ٢/٢٠٣.

(٩٤) ص ٣٩٣.

قال تلميذه المكودي: «شيخنا وقدوتنا، العلامة البحر الفهامة، وحيد دهره، وفريد عصره، معيار العلوم في كل منطوق ومفهوم، سيدنا أبو العباس أحمد بن مبارك السجلماسي اللمطي»^(٩٥).

ونعته القادري أيضاً ب: «علامة الزمان، فريد العصر والأوان، فارس التدريس والتحقيق. وحامل راية التحرير والتدقيق»^(٩٦).

وقال محمد بن أبي شعيب الشاوي منوها بأخلاقه وعلمه: «الشيخ العلامة الحبر الفهامة، ذو الأخلاق الحميدة والآراء السديدة، عالم الأدباء، وأديب العلماء، المتيقن في المعقول والمنقول، الجامع للفروع والقراءة والأصول»^(٩٧).

وحلاه العلامة الحضيكي ب «علامة وقته، وحافظ عصره»^(٩٨). وقال في حقه تلميذه الشيخ التاودي بنسودة: «شيخنا الأسمى، وذخيرتنا العظمى. العلامة الحافظ، المحرر المدقق. نجم الأمة، وتاج الأئمة»^(٩٩).

وأشاد الزيايدي بعلمه قائلاً: «... الشيخ الفقيه العالم العلامة. المشارك المدرس الفهامة. ينبوع العلم وبحره. كان رحمه الله عالماً عاملاً، بحراً في العلم لا ساحل له»^(١٠٠).

ونوه أبو الربيع الحوات بمجالسه العلمية، فقال: «وتساقط الناس على صاحب الترجمة - أي السجلماسي - للانتفاع به من كل قطر من أقطار البسيطة ذات الطول والعرض، حتى كان مجلسه يقول: امتلأ الحوض. وتخرج به من أشياخنا من كانوا قرة العيون، في تحقيق جميع الفنون»^(١٠١).

وخصه الكتاني بنفوت العلم والعرفان، فقال: «العالم العلامة، الجهيز الفهامة، المجتهد القدوة المحرر، نجم الأمة، وتاج الأئمة. شيخ الشيوخ، ومن له في العلم القدم الثابتة الرسوخ: أبو العباس أحمد بن مبارك...»^(١٠٢).

والنشاء عليه كثير منتشر.

(٩٥) صرف المشيئة ورقة ١٣٦ ظ. نقلا عن تحرير مسألة القبول ص ٥٠.

(٩٦) نشر المثاني ٤٠/٤-٤١.

(٩٧) مقدمة المقالة الواهي في شرح الدالية ورقة ١.

(٩٨) مناقب الحضيكي ١١٣/١.

(٩٩) فهرسة التاودي بنسودة ورقة ٩٠.

(١٠٠) سلوك الطريق الوارية ورقة ٤٧.

(١٠١) الروضة المقصودة ص ٢٩٢-٢٩٣.

(١٠٢) السلوة ٢٠٢/١.

خلف العلامة السجلماسي تراثاً علمياً زاخراً متنوعاً، تتجلى قيمته العلمية في كونه يعكس ثقافة عصر المؤلف، ويسجل إلى حد كبير القضايا الفكرية التي يعج بها ذلك العصر، والمسائل التي أثير فيها الخلاف بين أهل العلم، سواء في الحواضر العلمية مثل فاس، وسجلماسة، أو في غيرها من أرجاء البلاد.

ويمثل بدرجة كبيرة أيضاً معايشة المؤلف لقضايا عصره، ومشاركته وخوضه في هذه القضايا، وإسهامه في حل كثير منها. فلم يكن ممن اعتزل الحياة، أو غاب عن واقعها، بل كان يباشر هذا الواقع، ويشارك في علاج مشكلاته، وصياغة حلول قضايها. ولذلك جاءت معظم تصانيفه عبارة عن مشكلات فكرية أو علمية أثارت في عصره، أو فتاوى واجوبة أجاب بها من سألته، كما سيتضح في عرضها قريبا.

ويلحظ القارئ كذلك في تراث السجلماسي جانباً إيجابياً مشرقاً، وهو كون هذا التراث يجمع بين موضوعات غير مطروقة، أو موضوعات مطروقة، لكن من تقدمه ممن بحثها لم يضع نقطة النهاية فيها، بل أبقى لمن جاء بعده مجالاً لتعميق البحث، وإجالة النظر، وتجديد الفهم... فجاءت رسائله ومؤلفاته جامعة بين المهارة في العرض، والابتكار في الأسلوب، والإفصاح عن الجديد، وبين استكمال جوانب النقص، وتعميق البحث، وتسديد النظر في موضوعات مطروقة.

وقد مكنتني الله تعالى من الوقوف على معظم هذا التراث في مظانه، وإدامة النظر فيه، والانتفاع به. وها أنا أورد منه ما تيسر الآن^(١٠٢) بإيجاز على النحو الآتي:

- ١ - الإبريز من كلام سيدي عبدالعزيز الدباغ. (مطبوع).
- ٢ - تقييد على شرح متن السلم للأخضري. (مطبوع).
- ٣ - طرر على شرح الشيخ سعيد قدورة على متن السلم للأخضري (مطبوع)^(١٠٣).
- ٤ - رسالة تحرير مسألة القبول على ما تقتضيه قواعد الأصول والعقول (مطبوع).
- ٥ - رد التشديد في مسألة التقليد، وهي الرسالة التي أقدمها الآن محققة.

(١٠٢) هناك رسائل وتقاييد لم أتمكن من الوقوف عليها، واعتمدت في عرضها على عمل الباحث الحبيب عيادي في تحقيقه لكتاب «تحرير مسألة القبول» ص ٧٢-٩٨، وكذلك صنيح الباحث الأخضر على محدوديته في رسالته «الحياة الأدبية على عهد الدولة العلوية» ص ٢٢٨.

(١٠٤) طبعت بالمطبعة الكبرى الأميرية بولاق بمصر عام ١٢١٨هـ على نفقة الحاج الطيب التازي المغربي.

٦ - إنارة الأفهام بسماع ما قيل في دلالة العام^(١٠٥).

تناول فيه السجلмасي دلالة العام، مبينا أنها تدل بالتضمن دون المطابقة والالتزام، مناقشنا الإمام القرافي، رادًا عليه، وذلك في فصول أربعة كلها تحرير وتحليل ونقاش.

٧ - الأجوبة السبكية^(١٠٦).

وهي إشكالات وجهت إلى المؤلف تتعلق بالسبكي في «جمع الجوامع» وشرح المحلي له.

٨ - المقالة الوافية في شرح القصيدة الدالية^(١٠٧).

والقصيدة الدالية من نظم الفقيه أبي عبدالله محمد بن مبارك السجلмасي المغراوي الفاسي (ت ١٠٩٢هـ). وضعها في تحقيق الهمز لحمزة وهشام.

شرح السجلмасي هذه القصيدة ولم يكملها، بل وقف عند البيت السابع، ولو أتمها لكانت فائدتها أعظم، وتقدمه فيها أميز، كما أشار إلى ذلك صاحب تنبيه السالك.

٩ - القول المعتبر في بيان أن جملة الحمد إنشاء لا خبر^(١٠٨).

ميز فيه المؤلف بين الإنشاء والخبر، وقرر بالأدلة أن جملة الحمد إنشائية لا خبرية، وبث في ثنياه فوائد علمية غزيرة.

١٠ - كشف القناع عما ادعي في مسألة المعية من الإجماع^(١٠٩).

بناه المؤلف على سؤال وجه إليه عن المعية في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾: هل هي معية بالذات مع التنزيه، أم هي معية بالعلم دون الذات؟ فصحح معية الذات، وردَّ معية العلم، مع سوق الحجج والبراهين الدالة على ما ذهب إليه.

١١ - سؤال يتعلق بتحرير الوصف النفسي على طريقة المتكلمين^(١١٠).

أجاب عنه فقيه فاس ومفتيها سيدي العربي بن أحمد بردلة، وأجاب عنه السجلмасي مبينا قصد المتكلمين بالوصف النفسي بنفس منطقي كلامي متين.

(١٠٥) تحتفظ الخزائن المغربية بنسخ خطية منه.

(١٠٦) توجد نسخ منه بالخزائن المغربية.

(١٠٧) توجد نسخ منه بالخزائن المغربية.

(١٠٨) احتفظت الخزانة العامة بالرباط بنسخة منه.

(١٠٩) في الخزانة العامة بالرباط نسخة منه.

(١١٠) في الخزانة العامة بالرباط نسخ منه.

١٢ - إزالة اللبس عن المسائل الخمس^(١١١).

وهو كتاب جامع لأجوبة خمس^(١١٢)؛ ثلاثة منها في علم الكلام، واثنان في الفقه،

وهي:

الأولى: في معنى المعية في قوله تعالى: ﴿وَمَوْمَكُواً إِنَّ مَّا كُنْتُمْ﴾.

الثانية: في العقول؛ هل هي متقاربة أو متفاوته؟

الثالثة: في قول بعضهم: إن أهل النار يتلذذون بعذابها، ويستحيل طبعهم إلى طبعها حَتَّى يَتَأَذُوا بنسيم أهل الجنة إذا هب عليهم....

الرابعة: في تلقين الشهادة؛ هل المراد الإقرار بالألوهية، أو مع الرسالة؟....

الخامسة: تتعلق بالإجماع في قول الزرقاني لدى قول المختصر: والجاهل كافر إجماعاً.

١٣ - رسالة في بيان انتفاء الثواب لقارئ القرآن على كل حرف حرف منه^(١١٣).

بنى المؤلف هذه الرسالة على سؤال وجه إليه فيما وُجد منسوباً للحافظ أبي عمرو الداني من أن الثواب الذي في أحاديث فضائل القرآن هل يترتب على الحروف المملوطة، أو المكتوبة، أو هما معاً؟ مبيناً وجوب اعتبار اللفظ دون الخط في تلك الأحاديث.

١٤ - تقييد في إجابته عن مسائل فقهية كثيرة. (مخطوط خ. ع.).

(١١١) موجود في خزائن المغرب.

(١١٢) أخطأ محقق رسالة «تحرير مسألة القبول» في الكتاب ورقمه، فاعتبر الكتاب في تفسير الآية: ﴿وَمَوْمَكُواً إِنَّ مَّا كُنْتُمْ﴾، وأثبت له رقم ١٠٥٢ بالخزانة الحسنية. والصواب أن المراد هو كتاب «إزالة اللبس» الذي ذكره في صفحة ٩١، ورقم تسجيله بالخزانة الحسنية ١٥٢، وتشكل مسألة المعية في آية الحديد العمود الفقري له، ونالت من عناية المؤلف النصيب الأوفر حَتَّى غلبت على أسم الكتاب، وصار يعرف بتأليف في مسألة المعية في قوله تعالى: ﴿وَمَوْمَكُواً إِنَّ مَّا كُنْتُمْ﴾. أو لعل المؤلف أفرد هذه المسألة بالتأليف في بداية الأمر، ثُمَّ ما لبث أن جمع معها المسائل الأربع الأخرى في مؤلف واحد. ويؤيد هذا الاحتمال ما قرره القادري في النشر من اختلاف معاصريه حول هذا الكتاب ما بين مستحسن ومشنع، حَتَّى انتصب الإمام الكبير السرخيني للرد عليه، ثُمَّ إن السجلмасي نفسه شغلته هذه المسألة زمناً، وتناولها بأكثر من تأليف: كما في «كشف القناع»، و«إزالة اللبس» هذا.

إذا علم هذا يزول إشكال البحث عن الكتاب مستقبلاً، وعدم العثور عليه.

(١١٣) في الخزائن المغربية نسخ منه.

١٥ - رسالة في أجوبة على مسائل أربع متعلقة بعلم الكلام. (مخطوط خ. ع.).

وهي:

الأولى: في مباحث صفة الإرادة لله سبحانه.

الثانية: في مباحث العلم لله سبحانه.

الثالثة: في مباحث الكلام لله سبحانه.

الرابعة: في عدم اتصاف الأزلي سبحانه بالحوادث.

١٦ - رسالة تكرر سورة الإخلاص عند الختام. (مخطوط خ. ع و خ. ح.).

أجاب فيها عن تكرار سورة الإخلاص عند ختم القرآن، هل هو ثابت في السنة أم

٩٧

١٧ - رسالة في تحقيق قول الشيخ خليل: (وخصصت نية الحالف). (مخطوط

خ. ع.).

بأن فيها السجلмасي من أين سرى الوهم للقرافي في كتابه «الفروق» في الفرق التاسع والعشرين بين قاعدة النية المخصصة، وقاعدة النية المؤكدة. وهي في مجموع يحتوي على ردود بعض معاصري السجلмасي على القرافي في المسألة نفسها؛ كالشيخ التاودي بن سودة، والشيخ أبي علي النيوسي، ومحمّد بن الحسن بناني، ومحمّد بن قاسم جسوس، والشيخ ميارة.

١٨ - أربعون حديثاً في فضل قضاء حاجة المسلم. (مخطوط خ. ع.).

ضمه أربعين حديثاً في فضل قضاء حاجة المسلم، وقبول عذره، والذب عن عرضه، وبعض أحكام الولاية وما يلزمهم من الله عز وجل.

١٩ - أسئلة وأجوبة عما استشكله أبو محمّد عبدالله الشنقيطي في مختصر ابن

عرفة الفقهي. (مخطوط خ. ح.).

٢٠ - مسألة مفيدة في الوضع وأقسامه. (مخطوط خ. ع.).

٢١ - رسالة في همزة الوصل وأحكامها، والألف التي تزداد في الخط نحو: قالوا...

(مخطوط خ. ح.).

٢٢ - أسئلة تتعلق بالطعن في النسب الشريف. (مخطوط خ. ح.).

٢٣ - رسالة في تحقيق دلالة المعجزة. (مخطوط خ. ح.).

أجاب فيها سائلاً عن دلالة المعجزة؛ هل الراجح فيها أنها عادية أو عقلية، وكيفية دلالتها وأدلة ذلك.

٢٤ - صرف المشيئة. (مخطوط خ. ح.).

وهي رسالة صغيرة رد فيها على أبي الوليد بن رشد في تخريجه قول ابن القاسم في: أنت طالق إن دخلت الدار إن شاء الله على قول القدريّة^(١١٤).

٢٥ - تقييد في تعريف الأصول. (مخطوط خ. ح.).

٢٦ - جواب عن سؤال من حل الطاعون ببلدهم، هل يجوز لهم الخروج منه فرارا أم لا (مخطوط خ. ح.).

٢٨ - مسألة النفقة على العالم على من تكون؟ (مخطوط خ. ح.).

وهي رسالة مفيدة للغاية وإن صغر حجمها.

٢٧ - فهرسة إجازته لأبي العباس أحمد بن الحسن المكودي. (مخطوط خ. ح.).

وتتضمن بعضا من شيوخه ومؤلفاته. وفيها من التقييد والرسائل ما لم أقف عليه في غيرها؛ مثل: رسالة في الفرق بين الموازنة عند علماء الحديث والموازنة عند المعتزلة. ورسالة في تعلق الصفات وبيان ما هو نفسي منها وما لا^(١١٥).

وله رسالة في تحقيق تعلق القدرة. ورسالة في الرد على ابن عربي صاحب الفصوص^(١١٦). ورسالة تتعلق بكلام القرافي فيما حكاه عن ابن جميع في التحدث عن الأجنة في القواعد والفرق^(١١٧). ورسالة في تحقيق المسألة المنسوبة لأبي حامد؛ وهي قوله: «ليس في الإمكان أبدع مما كان»^(١١٨).

وفاته

اضطربت مظان ترجمة السجلмасسي في تاريخ وفاته اضطرابا يلفت النظر؛ فتلميذه التاودي بنسودة (ت ١٢٠٩هـ) الذي سجل في فهرسته أنه توفي رحمه الله ليلة الجمعة

(١١٤) قال عنها في فهرسته (ورقة ١١-١٢): «وأتيت فيها بما ظهر معه الحق ظهور الشمس لذي عينين، وقد خفي ذلك على الغزالي والقلشاني وابن عرفة وأبي الحسن والمازري وغيرهم من المتأخرين، ولما وقف على ذلك شيخنا في الفقه شيخ الإسلام سيدي الحسن بن رجال المعداني رحمه الله، قال لي رضي الله عنه: هذا رافع للنزاع، وقاطع لجميع عروق الشبهة في المسألة».

(١١٥) قال عنها في الفهرست (ورقة ١١): وهي أول ما ألفته على الإطلاق.

(١١٦) قال عنها في الفهرست (ورقة ١٢): وقد أتيت فيها بما يشفي ولله الحمد، وبينت أنه لا يصح إيمان فرعون من كل وجه.

(١١٧) قال عنها في الفهرست (ورقة ١٢): زيفت فيها كلام القرافي، وأبطلت فيها كلام ابن جميع، وذكرت فيها من كلام حفاظ الحديث وحذاق الأطباء ما ظهر به الحق وبان، ولله الحمد.

(١١٨) قال عنها في الفهرست (ورقة ١٢): وبيننا من أين جاءهم - أي الذين انتصروا فيها لأبي حامد - الفلط، وأوضحنا الحق فيها إلى الغاية، وكتبنا فيها نحو من ثلاثين ورقة.

تاسع عشر جمادى الأولى من عام خمس وخمسين ومائة وألف بالطاعون، وأنه هو الذي ألحده في قبره^(١١٩)، نجده يخالف ما سطره هنا في آخر «الفهرسة» لما تكلم على الشيخ محمد بن عبدالعزيز الصنهاجي، وقرر أنه توفي في ٢٨ صفر عام ١١٥٤هـ، ثم قال: «إن ابن المبارك توفي بعده بخمسة عشر يوماً». فافتضى ذلك أن يكون قد توفي عام أربعة وخمسين ومائة وألف، وهو تاريخ لم يذكره غيره.

وكذلك تلميذه القادري، لم يسلم أيضاً من الاضطراب في تعيين تاريخ يوم وفاته، فذكر في النشر^(١٢٠) أنه توفي يوم الجمعة ١٨ جمادى الأولى عام ١١٥٦هـ، بينما سجل في التقاط الدرر أنه توفي ثاني عشر جمادى الأولى عام ١١٥٦هـ.

على أن الاختلاف في تحديد اليوم عند القادري أمر هين، ما دامت سنة الوفاة موحدة؛ وهي (١١٥٦هـ). والاطلاع على نسخ النشر والالتقاط معا يبرر هذا الاختلاف. إذ في نسخ أخرى للنشر تحديد يوم ١٢ جمادى الأولى، كما أن النسخ الأخرى للالتقاط حددت يوم ١٨ جمادى الأولى تاريخاً للوفاة^(١٢١).

ووقع من جاء بعد هؤلاء من المترجمين له ضحية هذا الاختلاف، فترى من يحدد سنة الوفاة بعام ١١٥٥هـ^(١٢٢)، ومن يحددها بعام ١١٥٦هـ^(١٢٣).

ولعل ما يمكن الاطمئنان إليه مما قيل: ما عند تلميذه القادري في النشر؛ وهو يوم ١٨ جمادى الأولى عام ١١٥٦هـ^(١٢٤). أما تلميذه التاودي فقد اضطراب كلامه كما تقدم، ولم يستقر على رأي، بل حتى ادعاؤه أنه هو الذي ألحده في قبره يتنافى مع ما قرره القادري من أن إمام القرويين وخطيبها أبا مدين بن أحمد الفاسي هو الذي صلى عليه، وأنه حضر الجنازة وما رافقها من الجم الغفير من أهل فاس العليا والسفلى، فلو كان الشيخ التاودي هو الذي ألحده قطعاً لذكره. والله أعلم.

(١١٩) فهرسة التاودي بنسودة ورقة ٩١، السلوة ٢/٢٠٤.

(١٢٠) ٤٢/٤.

(١٢١) ولعل هذا هو الذي حدا بمحقق التقاط الدرر (ص ٢٩٢) إلى إثبات يوم ١٢ جمادى الأولى في المتن، مع وجود ما يخالفه في النسخ الأخرى.

(١٢٢) كما في الفكر السامي ٢/٢٨٩، شجرة النور ١/٣٥٢، جامع القرويين ٣/٨٠١.

(١٢٣) كما في مؤرخو الشرفا ص ٢٢٠، الأعلام ١/٢٠٠، معجم المؤلفين ٢/٥٦.

(١٢٤) وهو ما استصوبه أيضاً الأخضر في الحياة الأدبية ص ٢٢٧، ومحقق التقاط الدرر ص ٢٩٢.

هامش رقم ٢، ومحقق تحرير مسألة القبول ص ٥٥.

الفصل الثاني: دراسة الرسالة

يلقي هذا الفصل بعض الضوء على هذه الرسالة؛ فيميط اللثام عن موضوعها، ومصادرها، ومزاياها، ونسخها، وعنوانها، وصحة نسبتها إلى مؤلفها؛ وذلك في مباحث:

الأول: تحقيق عنوان الرسالة، وصحة نسبتها إلى مؤلفها

«رد التشديد في مسألة التقليد»، هذا هو العنوان الذي سمي به المؤلف رسالته في المقدمة المقتضبة التي قدم لها بها، ودرجت النسخ الخطية المنقولة عن نسخته على ذلك، وأثبتته تلميذه أبو عبدالله محمد بن الحسن البناني في نهاية اختصاره للرسالة. ولم أر غير هذا المسمى منسوباً إلى السجلماسي فيما وقفت عليه من مصادر ومراجع، بل أطبق الذين ترجموا له على ذكر هذه الرسالة منسوبة إليه، مما يقوي صحة النسبة إليه، ويدحض كل زعم يعكّر صفو هذه النسبة، وهذه التسمية.

الثاني: موضوع الرسالة

- ١ -

ذهب جمهور المتكلمين إلى أن معرفة الله تعالى ليست فطرية ضرورية، وإنما هي كسبية يكتسبها الإنسان بعقله عن طريق النظر والاستدلال. أصل هذا الكلام للمعتزلة، وتبعته في ذلك الفرق الكلامية الأخرى: كالماتريدية والأشعرية.

ذكر القاضي عبد الجبار أن أول ما يجب على المكلف النظر إلى الجواهر والأعراض وإثبات حدوثهما لمعرفة حدوث العالم، ثم الاستدلال بذلك على وجود محدثه وصانعه، وادعى أن هذا هو أول العلم بالله تعالى^(١٢٥).

ويدعي الزمخشري أن الأنبياء أنفسهم إنما عرفوا الله بالنظر في الأدلة التي نصيبها لهم، ففسّر قول الله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾^(١٢٦)، قال الزمخشري: «فإن قلت: كيف جعل

(١٢٥) انظر: المحيط بالتكاليف للقاضي عبد الجبار ص ٢٦، وشرح الأصول الخمسة له ص ٧٠-٧٦.

(١٢٦) من الآية ٤٩ من آل عمران.

هذا القول آية من ربه؟ قلت: لأن الله تعالى جعل له علامة يعرف منها أنه رسول كسائر الرسل، حيث هداه للنظر في أدلة العقل والاستدلال...^(١٢٧). وسار على هذا المنوال في تفسير بعض الآيات^(١٢٨)، مدعياً أن الرسل إنما بعثوا إلى الناس إزاحة للعلّة، وتتميماً للإلزام الحجّة الواجبة على الناس بعقولهم.

وتبع الماتريديّة والأشاعرة المعتزلة في إيجاب النظر العقلي على المكلف، وقال به جمهورهم، فقد أوجب أبو منصور الماتريدي (ت ٣٢٢هـ) النظر على المكلف، وادّعى عدم قبول التقليد في العقائد إلا أن يكون مع المقلد حجة عقل يُعرف بها صدقه^(١٢٩). أما الأشاعرة، فقد انتقل إليهم إيجاب النظر على المكلف من مذهب المعتزلة مع أبي الحسن الأشعري^(١٣٠)؛ ولهذا قال أبو جعفر السمناني: إن مسألة تكفير المقلد بقيت في مذهب أهل السنة من عقيدة المعتزلة، وإن الشيخ أبا الحسن الأشعري قد مرّ في تفسير الإيمان على مذهب أبي الحسن الصالح من المعتزلة، واختاره، كما نص على ذلك أبو بكر ابن فورك وغيره^(١٣١).

وعلى القول إن النظر في معرفة الله تعالى واجب إجماعاً، سار الماتريديّة والأشاعرة، إلا أن الأشاعرة يرون أن وجوبه تقرر بالشرع لا بالعقل كما يقول المعتزلة^(١٣٢). وللأشاعرة في تقرير هذا مسلكان:

أحدهما: الاستدلال بطواهر النصوص نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١٣٣) وقوله: ﴿فَانْظُرْ إِلَى مَائِنِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُخَيِّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْنِهَا﴾^(١٣٤).

(١٢٧) الكشف ١/٣٦٥.

(١٢٨) انظر: الكشف عند تفسير الآية ١٦٤ من النساء ٥٩١/١، والآية ١٥ من الإسراء ٦٥٣/٢.

(١٢٩) انظر كتاب التوحيد للماتريدي ص ٣-٤.

(١٣٠) ثبت رجوع أبي الحسن الأشعري عن مذهب المتكلمين إلى مذهب السلف. انظر: الإبانة في أصول الديانة ص ٢٥ وما بعدها.

(١٣١) انظر: مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري لابن فورك ص ١٥١، فتح الباري ٣٦١/١٣.

(١٣٢) انظر: الإرشاد للجويني ص ٨، المواقف للإيجي ص ٢٨. إشارات المرام للبياض ص ٢٥.

(١٣٣) من الآية ١٠١ من سورة يونس.

(١٣٤) من الآية ٤٩ من سورة الروم.

والأمر للوجوب. ولما نزل: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَنْبِیَاءِ وَآخِذِیْنَ الْبُلْ وَالتَّهَارِ لَا یُؤْتِی الْأَنْبِیَاءَ﴾^(١٣٥)، قال عليه الصلاة والسلام: «ویل لمن قراها ولم یفکر فیها»^(١٣٦)، فهو واجب.

الثاني: وهو المعتمد، أن معرفة الله تعالى واجبة إجماعاً، وهي لا تتم إلا بالنظر، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب^(١٣٧).
والذين قالوا: إن المعرفة لا تحصل إلا بالنظر؛ اختلفوا في أول واجب على المكلف:

فقال بعضهم: النظر الصحيح المفضي إلى العلم بحدوث العالم. وهو مذهب جماعة منهم أبو الحسن الأشعري^(١٣٨).

وقال بعضهم: القصد إلى النظر الصحيح؛ أي توجيه القلب إليه بقطع العلائق المنافية له كالحسد والكبر... وهو مذهب أبي إسحاق الإسفراييني وإمام الحرمين^(١٣٩).
وقال الأكثر: أول واجب هو معرفة الله تعالى، ويعزى للشيخ أبي الحسن أيضاً^(١٤٠).

ويقابل هذه الأقوال من يرى أن أول واجب على المكلف: الشهادتان: شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإفراده بالعبودية.
والحاصل أن الخلاف الواقع بين الأشاعرة حول أول واجب: هل هو المعرفة، أو النظر، أو القصد إلى النظر، خلاف لفظي؛ فإن النظر واجب وجوب الوسيلة، من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. والمعرفة واجبة وجوب المقاصد. فأول واجب وجوب الوسائل هو النظر. وأول واجب وجوب المقاصد هو المعرفة^(١٤١).

(١٣٥) الآية ١٩٠ من آل عمران.

(١٣٦) روي مرفوعاً إلى عائشة هي تفسير القرطبي ٣١٠/٤، وتفسير ابن كثير ١٨١/٢، قال ابن كثير عقبه: وهكذا رواه ابن أبي حاتم، وابن حبان في صحيحه عن عمران بن موسى، وابن أبي الدنيا في كتاب التفكير والاعتبار عن شجاع بن أشرس به.
(١٣٧) المواقف ص ٢٨-٢٩. انظر: الإرشاد للجويني ص ١١، والإنصاف للباقلاني ص ٢٢، والتفسير الكبير للفيروز الرازي ٨٩/٢-٩٦.

(١٣٨) المواقف ص ٢٢، شرح السنوسية الكبرى ص ١٩.

(١٣٩) الإرشاد ص ٣، شرح السنوسية الكبرى ص ١٩.

(١٤٠) الإرشاد ص ٣، شرح السنوسية الكبرى ص ١٩.

(١٤١) انظر: المواقف ص ٢٢، درء تعارض العقل والنقل ٢/٢٥٢، شرح جوهرة التوحيد للباجوري ص ٢٨-٢٩.

والحق أن أول ما يجب على المكلف هو عبادة الله وحده لا شريك له عن طريق الوحي الذي بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم؛ وذلك من خلال النطق بالشهادتين المتضمنتين لتوحيد الله وإفراده بالعبودية. وبهذا نطقت نصوص الكتاب والسنة.

- ٢ -

إن ما ذهب إليه جمهور المتكلمين من إيجاب النظر والاستدلال بدليل الجواهر والأعراض الموصول إلى معرفة الله، وأن من لم يسلك هذا المذهب مقلد محكوم عليه بالكفر؛ مذهب مخالف لصحيح المنقول وصريح المعقول.

أما مخالفته لصحيح المنقول، فإنه لا يوجد نص في الكتاب ولا في السنة يؤيد ما قرروا؛ بل الثابت فيهما عكس ما ذهبوا إليه. فقد قرر الكتاب والسنة أن معرفة الله تعالى فطرية فطر الله الناس عليها، وجعلها من لوازم حياتهم... فقال تعالى: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ إِلَهِي فَطَرَأَ النَّاسَ عَلَيَّهَا لَا يَدِيلُ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الْبَیْرُ الْقَيُّمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّكَاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١٤٢).

وفي حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من مولود إلا ويولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، وينصرانه، ويمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء»^(١٤٣).

فالرسول صلى الله عليه وسلم يدعو الناس إلى التوحيد، ويقبل إسلام من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله، وكان يرسل رسله إلى الناس بذلك: أرسل معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن، وأمره بقوله صلى الله عليه وسلم: «إذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم...»، وفي رواية: «فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله»^(١٤٤).

ولو كان النظر واجبا، واتباع الطرق والأقيسة العقلية طريقا لمعرفة الله كما يدعي المتكلمون لَأَمَرَ به صلى الله عليه وسلم، ودعا إليه. إذ من المحال الممتع عقلا وشرعا أن يكون عليه السلام يفضل أن يبين للناس ما لا يصلح لأحد الإسلام إلا به، ثُمَّ تتفق جميع

(١٤٢) من الآية ٢٩ من سورة الروم.

(١٤٣) رواه البخاري في كتاب الجنائز - باب ما جاء في أولاد المشركين - حديث ١٣٨٥ (فتح الباري ٢/٢٩٠)، ومسلم في كتاب القدر - باب معنى كل مولود يولد على الفطرة - حديث ٢٦٥٨، واللفظ له.

(١٤٤) رواه البخاري في كتاب المغازي - باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن - حديث ٤٢٤٧ (فتح الباري ٧/٦٦١-٦٦٢)، ومسلم في كتاب الإيمان - باب الدعاء إلى الشهادتين - حديث ٢٩.

أهل الإسلام على إغفال ذلك، أو تعتمد عدم ذكره، وتنبّه له هؤلاء المتكلمون^(١٤٥).

لذا، فإنّ مذهبهم في إيجاب النظر على المكلف، واعتباره شرطاً للدخول في الإسلام؛ مذهب غير مستساغ، انتقده العلماء المحققون وناهضوه. بل حكى أبو بكر ابن المنذر الإجماع على أن بوابة الدخول في الإسلام هي النطق بالشهادتين؛ فقال: «أجمع كل من نحفظ عنه أن الكافر إذا قال: لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، ولم يزد على ذلك شيئاً أنه مسلم»^(١٤٦).

ونفى الإمام الخطابي (ت ٣٨٨هـ) أن يكون عليه السلام قد دعا في أمر التوحيد إلى ما يزعمه المتكلمون، فقال: «قد علمنا يقيناً أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يدع في أمر التوحيد إلى الاستدلال بالأعراض والجواهر... ولا يمكن لأحد أن يروي في ذلك عنه ولا عن أحد من أصحابه، لا عن طريق التواتر ولا عن طريق الآحاد...»^(١٤٧).

ولم يترك الصحابة هذا النمط من الكلام عجزاً عنه، ولا انقطاعاً عنه - يقول الإمام الخطابي^(١٤٨) - وقد كانوا ذوي عقول وافرة، وأفهام ثاقبة، وإنما تركوه استغناء بما عندهم من علم الكتاب وحكمته، وتوقيف السنة وبيانها، فلما تأخر الزمان، وضعف الإمام بحقائق علوم الكتاب والسنة، وكثر الملحدون والمشاغبون، حسب المتأخرون أنهم إن لم يواجهوا المتكلمين بمثل صناعتهم لم يقولوا بهم، ولم يظهروا في الحجاج عليهم، فكان ذلك ضلّة من الرأي، وغيباً فيه، وخدعة من الشيطان.

واستنكر الإمام ابن حزم أن يكون الرسول عليه السلام قد دعا من آمن به إلى الاستدلال؛ فقال: «إن الرسول صلى الله عليه وسلم منذ بعث لم يزل يدعو الناس الجهم الغفير إلى الإيمان بالله وبما أتى به... ويقبل ممن آمن به... ويحكم له بحكم الإسلام، ومنهم المراءاة البدوية، والراعي... والجاهل، والضعيف في فهمه، فما منهم أحد ولا غيرهم قال له عليه السلام: إني لا أقبل إسلامك، ولا يصح لك دين حتّى تستدل على صحة ما أدعوك إليه... ثمّ جرى على هذه الطريقة جميع الصحابة رضي الله عنهم،

(١٤٥) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ٧٦/٤.

(١٤٦) الإجماع لابن المنذر ص ١٩٨.

(١٤٧) صون المنطق للسيوطي ص ٩٦/٩٧.

(١٤٨) في رسالته: الفنية عن الكلام وأهله ١٣٩/١-١٤٠، بتصرف من درء تعارض العقل والنقل

٢٨٦-٢٨٧.

أولهم عن آخرهم، ولا يختلف أحد في هذا الأمر»^(١٤٩).

وقرر الحافظ ابن عبد البر أن من تأمل إسلام المسلمين الأوائل من المهاجرين والأنصار، وجميع الوفود الذين دخلوا في دين الله «علم أن الله عز وجل لم يعرفه واحد منهم إلا بتصديق النبيين بأعلام النبوة ودلائل الرسالة، لا من قبل حركة، ولا من باب الكل والبعض، ولا من باب كان ويكون. ولو كان النظر في الحركة والسكون عليهم واجبا، وفي الجسم ونفيه، والتشبيه ونفيه، لازما ما أضاعوه. ولو أضاعوا الواجب ما نطق القرآن بتزكيتهم وتقديهم، ولا أطنب في مدحهم وتمظيمهم. ولو كان ذلك من عملهم مشهورا، أو من أخلاقهم معروفا، لاستفاض عنهم، ولشُهِرُوا به كما شهروا بالقرآن والروايات»^(١٥٠).

وفهم الإمام ابن الصلاح (ت ٦٤٢هـ) من حديث ضمام بن ثعلبة الذي رواه البخاري ومسلم^(١٥١) صحة إيمان المقلد؛ فقال: «وفي الحديث دلالة على صحة ما ذهب إليه أئمة العلماء في أن العوام المقلدين مؤمنون، وأنه يكتفى منهم بمجرد اعتقادهم الحق جزما من غير شك وتزلزل، خلافا لمن أنكر ذلك من المعتزلة»^(١٥٢).

وبين النقي ابن تيمية في أكثر من موطن أن ما اعتبره المتكلمون أصل الإيمان مما عُلِمَ فسادُه بالاضطرار من دين الإسلام. إذ مما عُلِمَ من حال الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وما جاء به من الإيمان والقرآن، أنه لم يدعُ الناس بهذه الطريق أبدا، ولا تكلم بها أحد من الصحابة ولا التابعين، فكيف تكون هي أصل الإيمان؟ والذي جاء بالإيمان، وأفضل الناس إيمانا، لم يتكلموا بها أبته، ولا سلكها منهم أحد.

والذين يدعونها فريقان:

فريق ظن أنها صحيحة في نفسها، لكن أعرض عنها السلف لطول مقدماتها، وغموضها، وما يخاف على سالكيها من الشك والتطويل. وهذا قول جماعة كالأشعري في رسالته إلى أهل الثغر، والخطابي، والحلي، والقاضي أبي يعلى، وأبي بكر البيهقي وغيرهم.

(١٤٩) الفصل ٤/٧٥.

(١٥٠) التمهيد لابن عبد البر ١٥٢/٧.

(١٥١) البخاري في كتاب العلم - باب القراءة والعرض على المحدثين - حديث ٦٢ (فتح الباري

١٧٩/١)، ومسلم في كتاب الإيمان - باب السؤال عن أركان الإسلام - حديث ١٢.

(١٥٢) صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط ص ١٤٢.

وفريق يرى أن هذه الطريقة باطلة في نفسها، ولهذا ذمها السلف، وعدلوا عنها.
وهذا قول أئمة السلف؛ كابن المبارك، ومالك، والشافعي، وأحمد...^(١٥٢).

- ٣ -

هذا، وقد أثبت فكرة هذه الرسالة قبل أبي العباس السجلماسي بين فقهاء بلده
سجلماسة، وانقسم علماء سجلماسة حولها فريقين:
الأول: يتزعمه الفقيه الناسك الشيخ أبو عبدالله محمد بن عمر بن عبدالعزيز ابن
أبي محلي؛ صاحب رسالة «المنقذة»^(١٥٣).
والثاني: يتزعمه الفقيه المشارك الناسك العالم أبو عبدالله مبارك بن محمد
العنبري الغرهي^(١٥٤).

تصدى العلامة ابن أبي محلي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بسجلماسة، وركز
في دعوته على إزالة المنكرات المتعلقة بالعقائد الإيمانية، والمعارف الدينية. وألف في
ذلك رسائل وكلاماً منظوماً ومنثوراً^(١٥٥)، ولقن ذلك طائفة من أصحابه، وأمرهم بإفشاء
تعليمه في الطرقات والأسواق والأندية. وأمرهم أن يسألوا الناس عن معتقداتهم،
ويباحثوهم عما أضمرت قلوبهم في حق الله وفي صفاته وأسمائه، وفي حق الرسول
صلى الله عليه وسلم وما يتعلق بذلك. فمن أخبرهم بما يوافق الذي عندهم تركوه،
ومن قال بخلاف ذلك كفروه، وقالوا بفسخ أنكرته، وحرمة ذبيحته، وغير ذلك من

(١٥٢) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ٥/٥٤٣-٥٤٤ (بتصرف).

(١٥٣) قال عنها العياشي: «تصفحت قريباً من نصفها... فاستحسنيت ما فيها؛ لأنه دعا إلى الله
وإلى معرفته، والتحريض على تعلم ما يجب علمه في حق الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه
وسلم، والتحذير من وقوع الإنسان في الكفر من حيث لا يشعر... إلا أنه (سقط) بقي النظر
عندي في أشياء من ذلك أردت أن أذكرها في هذه الرسالة ليتدبرها هو وغيره ممن يراها من
أهل العلم، عسى أن يجعل الله ذلك سبباً لإطفاء نار التمسب الواقعة بين الفريقين». (الحكم
بالعدل والإنصاف ورقة ٥).

(١٥٤) انظر: الحكم بالعدل والإنصاف لأبي سالم العياشي ورقة ٣، ٤. المحاضرات لليوسي
٢٩٩/١.

(١٥٥) له تقييد في إيمان المقلد، وضرورة الاعتقاد الذي هو أساس الإيمان. توجد نسخة منه
بمكتبة الشيخ عبدالله كون برقم ١٠٥٤٥ (٦ ورقات). (فهرس مخطوطات مكتبة عبدالله كون
ص ٣٢٤).

الأحكام المترتبة على التَّكْفُرِ الصريح. فقلق الناس واضطربوا ومرج أمرهم، فمن قائل: هذا هو الحق، ومن قائل: ما سمعنا بهذا قط.

فلما رأى الفقيه مبارك العنبري ما حل بالناس من بلاء، وما دهمهم من ذلك الأمر، تصدى للرد عليه، وتزييف مقالته. فتحزب طلبة العلم لهما حزين، وانقسموا طائفتين، بالغت كل طائفة في التشنيع على الأخرى بالكفر فما دونه، وثارت بسبب ذلك فتنة عظيمة بين الفريقين.

وممن هاله أمر الفريقين من العلماء قبل السجلماسي: العلامة أبو سالم عبدالله ابن محمد العياشي (ت ١٠٩٠هـ)، فألف رسالة لبيان حقيقة هذا الأمر، سماها «الْحُكْمُ بِالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ الرَّافِعُ لِلْخِلَافِ فِيمَا وَقَعَ بَيْنَ فَهَاءِ سَجْلِمَاسَةَ مِنَ الْاِخْتِلَافِ فِي تَكْفِيرِ مَنْ أَهْرَ بُوْحَدَانِيَةَ اللَّهِ، وَجَهْلَ بَعْضِ مَا لَهُ مِنَ الْأَوْصَافِ»^(١٥٧).

وقد كان قيام هذه الفتنة العقدية في سجلماسة أواسط القرن الحادي عشر الهجري سبب تأليف العلامة أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي (ت ١١٠٢هـ) كتابه «مشرب العام والخاص من كلمة الإخلاص»^(١٥٨) الذي رجع فيه النزاع بين المتأخرين في معنى كلمة الإخلاص إلى زمان أبي محمد عبدالله بن محمد الهبطي (ت ٩٥٢هـ)، «ثُمَّ لَمْ يَزَلْ - كَمَا يَقُولُ - إِلَى الْآنَ يَثُورُ فِيهَا بَيْنَ الطَّلِبَةِ النِّزَاعِ، وَيَقَعُ الدِّفَاعُ وَالْقِرَاعُ»^(١٥٩).

بل سجل في محاضراته^(١٦٠) هذه الفتنة حين مر بسجلماسة في أعوام السبعين وألف، فوجد فئة من طلبة العلم أشاعوا أن الفساد قد ظهر في عقائد الناس، وأن التقليد في علم التوحيد جهل وضلال، فجعلوا يسألون الناس عما يعتقدون، ويكلفونهم الإبانة والجواب عن الصواب، فشاع في الناس أن من لم يشتغل بالتوحيد على النمط الذي يقررون فهو كافر، فدخل من ذلك على عوام المسلمين أمر عظيم، وهول كبير.

ولم يقتصر هذا البلاء على عوام المسلمين، بل انتهك أصحابه خاصة المسلمين أيضاً، فتناولوا فههاء وقتهم، ووقعوا في أهل العلم والدين ومن هم على سنن المهتدين، وضللوهم.

(١٥٧) مهياة للطبع تخرج قريباً إن شاء الله.

(١٥٨) أشار إلى ذلك أبو القاسم العميري في فهرسته، نقلاً عن فقه النوازل في سوس: قضايا وأعلام ص ١٥٩.

(١٥٩) مشرب العام والخاص ص ٢٤٣.

(١٦٠) المحاضرات في الأدب واللغة ١/ ٢٩٧ وما بعدها.

قال ما نصه: «وقد اشتعلت فتنتهم حتَّى كادت تخرج إلى الآفاق كلها، ثُمَّ أطفأها الله تعالى بفضله، فجاء طاعون عام تسعين وألف، فاجتث شجرتهم من فوق الأرض، فلم يبق لها قرار»^(١٦١).

وجاء أبو العباس السجلماسي ليدلي بدلوه في هذه القضية، ويشارك علماء عصره فيما يواجهون من مشكلات مدلهما، ويساهم في معالجة الفتنة القائمة، رجاء أن يقع الإنصاف، وتتحسم مادة الخلاف، فإن الاختلاف في هذا الأصل الكبير، وزعزعة مثل هذا الأساس خطير مُبِير.

ألف رسالته هذه متأثرا بمن تقدمه من الفحول: أمثال الغزالي، وعياض، والأبياري، والعز ابن عبد السلام، وابن الشاط، والقرطبي، وابن حجر... هؤلاء الذين خبروا منهج المتكلمين في إثبات المعرفة، وانتقدوا طريقتهم وكشفوا عوارها، وأبانوا أنها لا توصل إلى اليقين، وإنما إلى التردد والحيرة والتشكيك.

وبينَّ بجلاء أن التكفير شرعي لا عقلي كما يقول المعتزلة، وأن التزام ضوابط ما يُكفر به في الشرع يفيد أن المقلد ليس بكافر، كما أنه ليس بعاص أيضاً بترك النظر.

وكشف بالبرهان أن علم الكلام ليس برافع للتقليد؛ لأن كثيراً من أدلته جدلية لا برهانية، وأن البداهة والضرورة تغني عن قواعد علم الكلام؛ فإن دلالة الأثر على المؤثر ضرورية مركوزة حتى في فطر الصبيان والبهائم. فمعرفة الله والإقرار بوجوده من الأمور الضرورية الفطرية التي غرسها الله في قلوب جميع الإنس والجن، وأن الاستعانة بدلالة الفطرة، والاستدلال بآيات الله في الأنفس والآفاق، ممَّا يُتْلَج صدر المسلم، ويزيده يقينا وثباتا ومعرفة بخالقه جل وعلا.

ولم يكن السجلماسي في هذه الرسالة تابعا فحسب، جماعا للأقوال، أسيرا للأراء والفهوم، بل يحرر ويؤصل، ويصحح ويوثق، ويوازن ويرجح. فلم يضع نفسه في مقام التسليم دائما، بل يتعقب وينتقد، ويرد على الأكابر والأصاغر، فتراه يتناول كلام القمم، ويقبل منه ويرد، ويناقش ويصوب، ويمس أطرافه بنقد بناء، وتوجيه قاصد. كل ذلك في أدب جم، وتواضع لائق.

فقد رد على أبي الحسن الأشعري - فيما نقله عنه أبو بكر ابن فورك - ما قرر من أن معرفة الله نظرية. وناقش السيف الأمدي في اعتراضه على الباقلاني في ادعاء

(١٦١) المحاضرات ١/٢٣٢.

الضرورة في إثبات المصححات له تعالى عند ظهور الإتيان في الكائنات مناقشة الند
للند . ورد على ابن التلمساني في استغرابه ما قرره الفخر الرازي من أن البهائم تدرك
قضايا كلية ولوازمها .

وهكذا دواليك في ثانيا الرسالة؛ بيان وتحقيق، وتحليل وتأسيس، ونقد وتقويم،
ومناقشة واستدراك....

الثالث: مصادر الرسالة

تنوعت مصادر رسالة السجلماسي «رد التشديد» لخصوبة الموضوع الذي تناولته
من جهة، ولسعة المجالات المعرفية التي تتصل بها من جهة ثانية، لذلك استقى المؤلف
مادتها من مصادر المعرفة الإسلامية عموماً، وإن كان لكتب الكلام والمنطق والأصول
والمثل حضور قوي في بنائها. فقد كان أبو العباس أسير نظريات أبي بكر الباقلاني،
والغزالي، وابن فورك، ولأراء الفخر الرازي، والآمدي، والأبياري، وابن التلمساني،
والتفتازاني... في كون علم الكلام لا يوصل بقواعده وبراهينه إلى الحقيقة، ولا ينهض
طريقاً وحيداً للمعرفة. فكتابات هؤلاء ساهمت إلى حد كبير في صياغة فقرات هذه
الرسالة، وفي إضفاء حلة من الأسلوب الكلامي، والتعقيد اللفظي عليها.

كما استعان المؤلف بتفاسير الثعلبي، والفخر والرازي، والقرطبي، وابن كثير، في
توجيه بعض الآيات التي يعتبرها أهل الكلام أدلة وجوب النظر، فيأخذ من تلك التفاسير
ما يؤكد أنها موجهة للكفرة الملحدين، لا فيمن أعتد الحق من عامة المؤمنين.

كما وجد عند شرح الصحيحين؛ كالقاضي عياض، وأبي العباس القرطبي،
والحافظ ابن حجر، ما يخدم الغرض نفسه.

وكان أيضاً لمناظرات جعفر الصادق، ومأثورات عن بعض أئمة السلف، وحكايات
شعبية رائجة في عصره، أثر بارز في كون أدلة المتقدمين وبراهينهم في تقرير العقائد
قريبة المرام، سهلة المأخذ، لم تتلوث بعد بصناعة الكلام، وفلسفة المنطق.

كما استمد أبو العباس كثيراً مما يتعلق بأصناف الكفرة والملحدين وطبقاتهم من
كتب الملل والنحل والأهواء، خاصة كتاب الشهرستاني الذي نقل منه فقراً كثيرة، وإن
كان لمقدرة أبي العباس، وسعة اطلاعه، أثر في بلورة ما ينقل، واستثماره، والاستنتاج
منه، ولذلك جاءت رسالته هذه تعكس مشارب من المعارف والعلوم، كان جلها مطلوباً
في عصره، متداولاً بين أهل زمانه.

الرابع: مزايا ومآخذ

مزايا هذه الرسالة عديدة؛ فهي في إطار عصرها سدت ثغرة في عقيدة الأمة، وحسنت أمرا كاد النزاع يستحكم فيه بين علماء العصر، ويعصف بما يسود أجواءهم من الاستقرار والوثام. كما أن مؤلفها ممن يعيش أحداث عصره، ويساهم في حل ما يعرفه من إشكالات علمية وعقدية، فلم يكن ممن اعتزل الحياة، واختار التوقع والانطواء.

ناهيك أنها عالجت موضوعاً حساساً، يمس جوهر عقيدة الإسلام، ويصنف الناس على أساس تحصيلهم فن صناعة الكلام، وتمرسمهم بأساليب النظر وطرق الاستدلال. فمن ألمّ بشيء من ذلك فهو، الفالح، ومن أخل به فهو الهالك، فكانت فتنة أصاب شررها عامة الناس وخاصتهم، فأنبرى القائمون على حراسة الشرع والدين، يبينون وجه الحق في هذه المعضلة، ويطفئون نار فتنتها قبل أن تأتي على الأخضر واليابس، ويأخذون بيد الحائرين في تموجاتها إلى بر الأمان، ويزيلون ما علق بنفوسهم من أَوْضَارِ التردد والشك والأرباب.

فنفخ الله بها منذ أن ظهرت، وامتدت إليها يد بعض العلماء بالاختصار، ومازالت تحمل في مضمونها من عناصر الجدة والنجاح الشيء الكثير؛ فهي تضم إلى قوة البيان، وجزالة العبارة، وحسن السبك، وإحكام المنهج، عناصر أصالة النقول، ومثانة الحجّة، ونصاعة البرهان، وبراعة الاستدلال. وهي عناصر أساسية تجعل عملاً علمياً كهذا لا يستغنى عنه في أي وقت من الأوقات. فما زلنا نرى في أمتنا من يطالب عامة الناس بما لا يطيقون، ويخاطبهم بما لا يفهمون، ويخوض بهم في جزئيات وتدقيقات وتعقيدات تقصم ظهرهم، وتجعلهم يتصورون أن الدين الإسلامي لا يستقر في جنب الإنسان المسلم إلاّ عبر مجموعة من المقدمات الكلامية، والتصورات المنطقية، مع أن الإسلام من كل هذه الأمور بريء، وأن الدين الحق لا يعدو الانقياد للوحي الإلهي عن طريق أعلام النبوة ودلائل الرسالة.

ومما يزينها كذلك كون مؤلفها جمع لها من النقول والروايات المنتقاة من كتب التفسير والحديث والأدب... خاصة نظرات جعفر الصادق، ومناظراته لبعض الملاحدة، كما أورد فيها نصوصاً من كتب نادرة؛ مثل كتب ابن فورك والباقلاني، وتوسعه في التعريف بالفرق والديانات والمقالات.

غير أن هذه الرسالة - كأي عمل بشري - تعكس ثقافة مؤلفها من جهة، والجو العلمي السائد في عصر ظهورها من جهة أخرى. ولذا يؤخذ عليها ما يؤخذ على مؤلفها السجل ماسي بوجه عام؛ فهو إلى جانب استبحاره في المعارف والعلوم، وتبوئه مكانة العلماء الأثبات، الذين أفتوا أعمارهم في خدمة العلم درساً وتأليفاً، حتى أثنى عليه وعلى إنتاجه الموافق والمخالف. إلا أن تأليفه لكتاب «الإبريز» في شأن شيخه عبدالعزيز الدباغ، وما أضفى عليه من أوصاف علمية، والقاب شريفة، ومراتب سنية، يجعل من مثلها الضاريون بسهم وافر في العلم، فضلاً عن الأئمة العاديين، جر عليه من النقد اللاذع، واللوم الكثير، والنظر برية إلى فكره وإنتاجه الشيء الكثير.

وقد كان غلوه في تقدير شيخه الدباغ، واستصغاره لشخصه وعلمه أمامه، وانسياقه كلياً وراء حركاته وإشاراته أمراً حيّر النقاد في علمه ونبوغه....

أما هذه الرسالة التي أنشأها لسد ثلثة في الفكر العقدي في عصره، فقد حشد لها من الروايات المغمورة، والآثار الواهية، ما لا حاجة إليه إذ في صحيح المأثور ما يثري موضوعها، ويفنيه عن الخوض في غيره.

كما أن استشهاده ببعض الحكايات التي يتنافى بعضها مع مقتضيات العقل السليم، والعقيدة الحقة، لتقرير بدهيات لا يماري فيها أحد، ومسلمات فطرية جُبل عليها كثير من الخلق، شوش على إشراقات هذه الرسالة، وعكر صفو ما في ثنائها من حقائق علمية جديرة بكل تقدير واحترام، إذ لو نزه رسالته عنها لكانت أسمى وأنقى وأفيد. ومما يؤخذ عليه أيضاً؛ إغراقه في كتابات المتكلمين، وانتزاعه القرائن والأدلة من كتبهم، مع شعور قارئ رسالته بأنه كان أقوى منهم في وضوح الرؤية، وسوق البراهين، وتحرير محل النزاعات، وتقرير الحقائق. ولا يشفع له نقده لبعضهم، ورده على الكثيرين منهم، ما دام سجين كتبهم وآرائهم ونظرياتهم.

الخامس: وصف نسخ الرسالة

اعتمدت في تحقيق رسالة «رد التشديد في مسألة التقليد» على خمس نسخ خطية، متقاربة في التصحيف والتحريف، متفاوتة في جودة الخط ورونقه، مما يفلب على الظن أنها - كلها - منقولة من أصل واحد؛ وهو أصل المؤلف. وهذا وصف تلك النسخ:

- النسخة الأولى: رمزتُ لها بحرف (ل)، وتحفظ بها الخزانة العامة بالرباط تحت رقم (١٠٩٢ ك) الكتاب الثالث ضمن مجموع. تبتدئ من صفحة ١٩٧ وتنتهي عند

صفحة ٢٢٤. مسطرتها ٢٢، ٥/١٨، ٥ سم. في كل صفحة ٢٠ سطرا. العناوين ورؤوس المسائل وأسماء الأعلام بالحرف الأسود البارز، مع توشيح بالحمرة والزرقة والخضرة. خطها مغربي جيد، قليلة الأخطاء، خالية من الحواشي والاستدراكات، منقولة عن أصل المؤلف، في آخرها: «وكان الفراغ منه يوم الأربعاء التاسع عشر من ربيع النبوي عام سبعة وأربعين ومائة وألف. قاله وكتبه عبد ربه تعالى أحمد بن مبارك ابن محمد بن علي السجلماسي ثُمَّ اللمطي، لطف الله به آمين».

والناسخ مجهول، لم يثبت اسمه وتاريخ نسخه للرسالة.

- النسخة الثانية: رمزت لها بحرف (ر)، وتحمل بسجلات الخزانة العامة بالرباط رقم (٢٧٩د). خطها مغربي جميل، عناوينها ورؤوس مسائلها باللون الأحمر، بعض مصادر المؤلف باللون الأزرق. أثبت الناسخ في الهوامش عناوين مسائل الرسالة، واستكمل ما سقط من الأصل في بعض الأوراق. مسطرتها ٢٢/٥، ١٨ سم. في كل صفحة ٢١ سطرا. ويبدو أنها نقلت من الأصل الذي نقلت منه نسخة (ل)؛ لأنهما تحملان تاريخ فراغ المؤلف من كتابتها: وهو ١٩ من ربيع النبوي عام ١٤٧هـ. وتقررت هذه بتاريخ فراغ الناسخ من نسخها؛ حيث قال في آخرها: «ووفق الفراغ منه في أوساط جمادى الثانية عام أحد وثلاثمائة وألف، رزقنا الله خيرهِ ووقانا شرهِ».

ولم يذكر الناسخ اسمه، ويبدو من أخطاء النص وتحريفاته أنه من المبتدئين في العلم.

- النسخة الثالثة: رمزت لها بحرف (ب)، وهي محفوظة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم (٢٥٩١د) ضمن مجموع، تبتدئ من صفحة ٢٤٦ إلى صفحة ٢٧٣. خطها مغربي جميل. مسطرتها ٢٢/١٧ سم، في كل صفحة ٢١ سطرا. العناوين ورؤوس المسائل بالحمرة. منقولة عن الأصل الذي نقلت منه نسخة (ل)، عارية عن اسم الناسخ، وتاريخ النسخ. في هوامشها تصحيحات واستدراكات، لا تخلو من أخطاء.

- النسخة الرابعة: رمزت لها بحرف (ط)، وتقع في مجموع مسجل برقم (٣٦٤د) بالخزانة العامة بالرباط، تبتدئ أوراقها من صفحة ١٦١ إلى صفحة ١٨٥. خطها مغربي دقيق مقروء. العناوين ورؤوس المسائل بالحمرة. مسطرتها ٢١، ٥/١٧ سم، في كل صفحة ٢٤ سطرا. وقد تعود إلى أصل سابقاتها، وزادت عليها بتحريفات وأخطاء وأسقاط، مما قد يفيد غفلة الناسخ وسهوه وقلة بضاعته. عارية عن اسم الناسخ، وتاريخ النسخ.

- النسخة الخامسة: رمزت لها بحرف (م)، وهي محفوظة بمكتبة الحرم النبوي الشريف بالمدينة المنورة تحت رقم (٨٠/٢) في مجموع جاء على طرته: هذا الكتاب وقف حرام مؤبد مقره المدينة المنورة من محمد العزيز الوزير حسب البيان بالحجة المعروضة غرة رجب ١٢٢٠هـ.

تقع في ١٧ ورقة، تبتدئ من ورقة ٢٠١ إلى ورقة ٢١٧. خطها مغربي مقروء. مسطرتها ٢٢ سم، في كل صفحة ٢١ سطرا.

ويظهر أنها منقولة من أصل المؤلف، لأن الناسخ ختمها بقوله: «وكان الفراغ من نسخها لما بالأصل بعد الزوال يوم الأربعاء ١٩ من ربيع النبوي عام ١١٤٧هـ».

لا تخلو من سابقاتها من أخطاء. عارية عن أسم الناسخ، وتاريخ النسخ. طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠١م: صدرت بتحقيق الباحث عبدالمجيد خيالي. وهي طبعة يُفترض فيها أن تكون بجودتها وصحتها صارفة كل من خطر بباله ضياع وقته وجهده في إخراج الرسالة من جديد. ولكن - يا للأسف - كانت من أسوأ الطبعات، وأكثرها سقما وتحريفا، حتى تجاوزت أخطاؤها وتصحيفاتها وأسقاطها الستين^(١٦٢).

وقد كانت عنايتي بهذه الرسالة تعود إلى سنة ١٩٩٦م عندما وقفت على نسخها، وصرفت وقتا وجهدا في نسخها، ومقابلتها، والتعليق عليها. وأخذتني عنها شواغل أخرى إلى أن وقفت عليها مطبوعة، فقلت في نفسي: وكفى الله المؤمنين القتال! المهم أن تخرج الرسالة وترى النور، وقد حصل. لكن ما إن تصفحتها وقرأت متنها، حتى وجدت ألف داع يدعوني لأنظر في عملي، وأجمع أوراقها وأرتبها من جديد.

(١٦٢) ولولا خشية الإطالة لأثبت كل ذلك، ولكن القارئ اللبيب يدركها بسهولة...

الاسراء على عفو لهم واستغفرة الشيكاز على قلوبهم وكذا لا يجمع الله على قلوب
 المعتزين **وهذا آخر ما مضى قد** وفطارى ما اعتبرت وكرم الله
 امرؤا سابع جلا غصدا، وما مع بالام طاء، وعز بعصور البلاء، وفلة لا حلال
 وانما ما فيه من حسن التميم، ومزير التعليم حمرا نلا والتنويد، جانه لوا عظمى القوس
 بدر يله واسكن الدار بالنيب، لما عرا مثلا لنيل العلى ولا بة النعيم، ولا ص يراه سماع
 انسيو بنغي ولا فعيم، ولا عروا عروا الحمالي ولا الليم، ولا كن البلاء اذا انشع
 وضوح نبيل رعى المقيم، وصل الله على سيدنا محمد وآله، عرو ما ذكر انرا كرون
 وغير عن ذكر، انفا قلون **وكان** انما غ منه يوم الا بعلة التسلسع
 عشر مزيغ النبوى على سبعة واربعين ومائة والى فالدوكتيد
 عنبر به تعلم احمر ميار لم ينعن زجله السجله اسى

٥ ثم اللب للحب لله بدء امين

٥ انتهى محمد الله

٥ تعالى وحلى

٥ عونه

٥

بسم الله الرحمن الرحيم ٤ وعلى الله تعالى سبيلنا ومنقولا للحج وأبيه

يقول أوقفه العبد العبد العبد
توكل على الله العبد العبد العبد
اللهم طمى رحمك من الله وأورثي عندهما

الحمد لله وعرفا وعلى الله تعالى لا ينسب غيرا من ذواته وبسم الله تعالى
تسميتهما جرد الشريعة به مسئلة انقلبه جعله الله تعالى
خالصة لوجهه الكريم وموجبة لرضوانه عليه انه ذو الخلق الامير
والفضل العزيز عليه توكلت به وحسب ولا زكركم
مسئلة انقلبه لا يتفق اقمها الا بحسبها هوره اكلها مثل التبعي شي
ويعمل والجواب = انه شي عي قال العبد العبد العبد العبد العبد
والتي قد بدلت ان فيه حكمين احدهما في الدنيا لو لموا الحكم بالباخرة
وقال اولها في الدنيا لو لموا الحكم بخلود في النار وكل من ماذين
الحكمين لا يتلف الا من السمع العبد العبد = ان التكليف شي عي لا يغلب
جلد بالمعنى الذي يحكم العقل ونسبوا اليه سائر الامور وقاله
ايضا لا يباري وان النساء وجميعهم من العبد العبد العبد العبد
اذ اثبت في التكليف شي عي فما صاب في التكليف به في السمع وهو ابطر الانبلاء
امور الاول فانما يعرف امتقاده ثم انما امتقاده انه عي في ذلك العملوا كيمي
عما في او حاميلا او مت او عمنه في العبد العبد العبد العبد العبد
التعريف الثاني فاجيبه تكذبت للنبي صلى الله عليه وسلم ومنه فذكره في

(الصفحة الاولى)

صورة الصفحة الاولى من النسخة (ر)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَحَلَّى اللَّهُ عَلَى حَيْثُ فَخْرًا وَمَجْدًا

يقولون انهم العتبات التي رعية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(عمری مبارک و سچائی اللہ کی نعمت)

بنو اہ : ارباب

[illegible]

الشفقة التي هي قولنا لا اله الا الله قلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما الله ما اجمعته لانه على ان لا يحدرا الامر كلاما من كلامه
للقوم صليهم اواختيارا وغير ذلك من كلامه الى الشخصية للغير كالنقل
بنوع الكلام والاجمال التي تتقنه الكبرياء التي قد لا تكون له شخصية
وتسمى انما هو ذلك كذا من كلامه في العبد والآخر الى الله (التي على
عينيهم والله اعلم بما لا يشك اذ ان الله لا يحدرا ليعتداه المفضل الاقطار
التي هي الطبقة للواقع بها احدي هذه الثلاثة قلنا لم يعتقدوا في
سجانه) الا الحق والى (التي رسول الله صلى الله عليه وسلم) الى البصر والاشي
امرا اجمعته لانه على ان لا يحدرا الامر كلاما من كلامه (ان المفضل
ليس كلاما من كلامه بل هو اجمعته (التي هي) ولا يشك في كلامه الا على من ذهب
المعنى في التفسيرية (ان التفسير عفا وينسبوا كلامه) الاحكام التي
الصفحة ويجمع صفوة (التي هي) وفيه انما تترك المنع واجب بالفضل وان
الايماء من حليته واجيب بالفضل وان لا يماس هو المعرقة الاية على
الدليل والبرهان وان كلامه لم يكن عبيد دليل ولا من كلامه فليس معنى من حليته
بايماء فكمه كبر ام يكون المفضل كلاما من كلامه فكمه كبر ام يكون
حتى قيل ان مسئلة تكلم المفضل بغيره في منذهب اهل السنة من عقائد
العلمية فتاة ابو جعفر (الشيخ) وكان هو دامت احواله لا شاء في نقله
عنه ابو الوليد اباج وابو بكر الهيثمي قلنا وهو صحيح بسا
الشيخ الا ان علي (الشيخ) في تفسير الايماء على منذهب الصالح من اهل
واختار في كتابه على ذلك (الشيخ) ابو بكر الباقلا في كتابه الاجتهاد والاشارة
ابو بكر في كتابه في الجمع فيه مقالات (الشيخ) بالحسن الا ان في كلامه على الله

صورة الصفحة الثانية من النسخة (ب)

واحد من هذه الاشياء ولم يتبعوه على الاعتقاد بالحق سبحانه والاله الا هؤلاء
 الطائفة المعطلة قبلها في العلم بشان الله تعالى في معطلة الكاظمة
 معطلة الهند ومعطلة العرب واستكمل بيان الزعم القبيح لادلاء عليهم
 انك لا وجودا با واما انما لا يخلو من المعطلة وتتم الملاحقة بقوله تعالى
 تعالى موجودا واحدا لا يشترط له وجودا والوجود بل ما هي الا على
 يدك الوجود ويملك الوجود وما لو ان المعطلة لا يسل الا انما مبرا العنك
 فلا يتصور وجوده ولا يخل ولا كنه ولا وجود ولا نقاد هذا الشئ في امر الشئ
 عن الشئ في وقال ان تعدد محراز في شئ من المفاهيم واثبت الملاحة في وجود
 الصانع لا يمتنع ان لا يخلو للعالم وما يمتنع ان لا يمتنع وجوده ولا يمتنع بلوا حكم
 بل يمتنع ان مبرر الجميع المتغالبات من الوجود والعدم والوحد والكنه والوجود
 والامكان معهما في علم ان لا يتصور في شئ فلا يقال له موجودا واحدا ولا
 واحد مبالغة في الشئ في واحد لا خطأ في انما يهزيان بين البطلان وهذا
 دعوا الصواب في المعطلة وانهم عطلوا الذات العلمية وجميع الصفات لا انهم
 عطلوا الصانع عن الصانع تعالى في الاجابة في التباينة من جميع الصانع في جميع
 والناجعة وغيرهم في انهم عطلوا انهم عطلوا وجوده كماله من العلم شغل
 هذا الخلق الباطل بالبرهنة ونسبته قدرته في خلقا حرد في كل زوايا
 بالسوال والجواب وسبيلكم كما قال بعض في انهم عطلوا باب العلم والكنه في
 حتى غلب الاوهام على العقول والآفاق حتى اوضح في انهم عطلوا وجوده
 لادلاء في جميع قال في انهم عطلوا العلم ما لا يشي اليه الا من شئ في وجه وانهم لم يروا
 الايلات الواجبات والعلامات الظاهرات في خلقهم وما يعلمون في انهم عطلوا
 والارض في الصانع المتغير في انهم عطلوا العلم والاشبهات في شغل

(التي هي سبل) التي هي سبل (التي هي سبل) على (التي هي سبل) على (التي هي سبل) على
 غلبهم وكذا (التي هي سبل) على (التي هي سبل) على (التي هي سبل) على (التي هي سبل) على
 ونحوها (التي هي سبل) على (التي هي سبل) على (التي هي سبل) على (التي هي سبل) على
 بنظره (التي هي سبل) على (التي هي سبل) على (التي هي سبل) على (التي هي سبل) على
 لمؤلفه (التي هي سبل) على (التي هي سبل) على (التي هي سبل) على (التي هي سبل) على
 لسانه (التي هي سبل) على (التي هي سبل) على (التي هي سبل) على (التي هي سبل) على
 بـ (التي هي سبل) على (التي هي سبل) على (التي هي سبل) على (التي هي سبل) على
 وحلى (التي هي سبل) على (التي هي سبل) على (التي هي سبل) على (التي هي سبل) على
 انما عليه (التي هي سبل) على (التي هي سبل) على (التي هي سبل) على (التي هي سبل) على
 مرار (التي هي سبل) على (التي هي سبل) على (التي هي سبل) على (التي هي سبل) على
 مبار (التي هي سبل) على (التي هي سبل) على (التي هي سبل) على (التي هي سبل) على

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ

الحمد لله وحده . وصلَّى الله على من لا ينبي بعده . وهو خير وبره . وبهذا
على خير . فسمعت هذا رد التشنير . ومصلحة التعليل . جعلها الله
خلاصة تجميعه الكريم . وموجبة لضرر العجم . انه ذو الاول الرب . و
والفضل العربي عليه . تولدت وهو حبيب الزمان . اعلم ان مصلحة
التعليل لا يتحقق امرها الا بمقتضى امور احدثها على التاكيد . فشرع الله على
الله شرع . قال الحق المدبر المدبر . وفيه عظمة . والافتقار . واليقظة . بر ليل . ان
فيه حكمين . احدهما . الرب . وهو الحكيم . بالحق . وهو له . واولئك . لا ينال
في الاخر . وهو الحكيم . فلهذا . في القادر . وكل من . على دين الحكمين . لان في الامر . لا شرع .
العزيز . مشيت . ان التكميل . شرع . لا عقل . خلاصة الله . من له . الزمان . يحكمون . العقل
ويستقيمون . الله . سائر . الاحكام . وانه . ايضا . الاله . وان . الله . ومنهم . من الجهل .
رضي الله عنه . فلهذا . ان التكميل . شرع . على . الله . فلهذا . شرع .
في الشرع . وجوابه . ان ذلك . فلهذا . شرع . الاول . من كان . نفس . اعتقاد .
كبر . فلهذا . الله . تعالى . عن ذلك . فلهذا . شرع . على . الله . فلهذا . شرع .
غير ذلك . فلهذا . شرع . الاول . من كان . الله . فلهذا . شرع .
الله عليه وسلم . فلهذا . شرع . على . الله . فلهذا . شرع .
في صول . الله . شرع . على . الله . فلهذا . شرع .
والله . فلهذا . شرع . على . الله . فلهذا . شرع .
الذات . فلهذا . شرع . على . الله . فلهذا . شرع .
واختيار . وغير ذلك . من الاحوال . فلهذا . شرع .
الله . فلهذا . شرع . على . الله . فلهذا . شرع .
عز . الله . فلهذا . شرع . على . الله . فلهذا . شرع .

يخفوا على فيه مدحهم اياها بالمدح والاشبه بلانته جسد قلوبها سبيل
 المشهورات وبخلت الا هواد على عفوهم واستغفروا التشبه على قلوبهم
 وكذا لك يجمع الله على قلوب المهتدين ويغفر لداخري ما غفرتهم. وقطاري
 ملا يستغفرونهم ورحم الله امره واسامح بالاعفاه والاسي بالرضا وعذر
 ويغفر الباع. وقلة الاكلالاح. وشكر ما فيه من حلس التقويم. ومزيد
 التحكيم لمكانا والتقويم. بلانته قلوبهم القوس بلاريدها. والسكن
 الارز بلانته لعاة اعتنا لغير ولا في النعيم. ولا حتى بوايد سطلح
 المسبق فيانهم ولا في غير. ولا عذر في عود الموالي ولا الهيم. ولا في
 البلاد اذا انشجرت وصوحت فيشغل عني الهيم. وطل الله على
 مسبح ناهج من والى عدد ملاذكي. الذالك من وعقل عاثة في الغافلون
 وكان الرزاق من عفو الرزاق يوم الاربعاء الفاسع عاش من ربيع
 المنوع عام صبيحة واربعين ومائة خالاه وكنته عبور به تعالى
 اعمون مبارك بن محزون على السجل اسمي اللهم في رضى الله به
 انتسقى بغير الله اللطيف احنه لعا بالايان مجاه النبي عليه السلام
 في بجر الله وحسن عونه ونوفقه الجميل واستودع كل انتم
 شهادته بمنع ياراه في عذرك العبد الذي نال اذ في بلا عذرك ليسوع
 المعاد لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد
 لجميع ودينه وهو على كل شئ رقيب واشهد ان نبينا ورسيدا
 ومولانا محمدا عبدا ورسولا صلى الله عليه وعلى آله النبي
 وآل بيته والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم وكل الله على سائرنا محمد وسلم

الجر له وحده وكل الله على من كان فيه بعرة هذه احدى يسيرة
فيها علوم غييرة ههنا بها في التشريك في مسألة التفسير
جعلها الله تعلم خالصة لوجهه الكريم وموجبة
رضوانه العليم انه في الاول العربي والفضل العربي
عليه توكلت وهو حبيب ولا ازيد اعلم ان مسألة التفسير
لا يتبع ارجا الا خمسة امور احرها هل التكفير شر عير او
عقير والجواب انه شر عير قال الغزالي رضي الله عنه في
الافتاء والتبوية بريل ان فيه حكيم احرها في الرضا
وهو الحكم باحقة دمه وماله وولده تانيها في الاخرة
وهو الحكم بخلوة في النار وكل من كان من الحكمين كان تغفر الامن
المشرع العزير فثبت ان التكفير شر عير لا عقير خلافا
للمعزلة ان ينحكمون العقل وينسبون اليه سائر الامور
وقاله ايضا الا يارب وابن الشاطو وغيرهم من العقول رضي الله
تعالى عنهم تانيها ان اثبت ان التكفير شر عير فما ضابط ما
يجوز به الشرع وجوابه ان ذلك بثلاثة امور الاول ما كان نقي
اعتقاده عير اعتقاده انه تعلم عن ذلك علوا كبير اعلموا
كبير اعاجز او جاهل او حيت او معه شر يك الرعي ذلك مما
ينافي الاجز الاول من كلمة التفوق الثاني ما فيه تكذيب
للبيش كل الله عليه وسلم واعتقاده انه كل الله عليه وسلم وشرب /
ولم

(الصفحة الأولى)

صورة الصفحة الأولى من النسخة (م)

بنفهم ولا فقههم ولا عروا في عراة العوالي ولا الصميم. ولأني
 للبلاد إذا افشيت. ووضوح يتكهار عن الكهشم. وطلو الله على
 سبنا فخر. والله عر ما ذكره الزاكر وزو غيل عن ذكره الغا فليس
 وكان البعاع من نسخها لما بالاصل بعراة واليوم الأربعاء الخامس عشر
 من ربيع النبوي عام سبعة وأربعين ومائة. وألفه وكتبه عبد
 ربه تعلم أحمد بن مبارك بن محمد بن علي السجلماسي اللطيف لطيف الله
 به. انشكه رحمه الله تعالى وبيع به - آمين -

**النص المحقق:
رد التشديد
في مسألة التقليد**

بسم الله الرحمن الرحيم. وصلى الله على سيدنا ومولانا^(١٦٣) محمد وآله.

(يقول أفقر العباد، إلى رحمة مولاه يوم التتاد، أحمد بن مبارك السجلماسي اللمطي رحمه الله ورضي عنه)^(١٦٤).

الحمد لله وحده، وصلى الله على من لا نبي بعده.

هذه حروف^(١٦٥) يسيرة، فيها علوم غزيرة، سميتها بـ: رد التشديد في مسألة التقليد. جعلها الله تعالى خالصة لوجهه الكريم، وموجبة لرضوانه العميم. إنه ذو الطول المديد، والفضل العديد. عليه توكلت فهو حسبي ولا أزيد.

اعلم أن مسألة التقليد لا يتضح أمرها إلا بخمسة أمور:

أحدها: هل التكفير شرعي أو عقلي؟

والجواب أنه شرعي. قال الغزالي رضي الله عنه في «الاقتصاد»^(١٦٦) و«التفرقة»^(١٦٧):

بدليل أن فيه حكمن: أحدهما في الدنيا؛ وهو الحكم بإباحة دمه وماله وولده. ثانيهما في الآخرة؛ وهو الحكم بخلوده في النار.

وكل من هذين الحكمين لا يتلقى إلا من الشرع العزيز. فثبت أن التكفير شرعي لا

عقلي، خلافا للمعتزلة الذين يحكمون العقل وينسبون إليه سائر الأحكام.

(١٦٣) ساقطة من م وط.

(١٦٤) ما بين المعقوفين ساقط من ل و م.

(١٦٥) في ل: حرف، وفي م: أحرف.

(١٦٦) الاقتصاد في الاعتقاد ص ٢١؛ حيث يقول الغزالي في بيان من يجب تكفيره من الفرق: «فاعلم قبل كل شيء أن هذه مسألة فقهية؛ أعني الحكم بتكفير من قال قولاً، وتماطى فعلاً. فإنها تارة تكون معلومة بأدلة سميعة، وتارة تكون مظنونة بالاجتهاد. ولا مجال لدليل العقل فيه البتة. ولا يمكن تفهيم هذا إلا بعد تفهيم قولنا: إن هذا الشخص كافر، والكشف عن معناه. وذلك يرجع إلى الإخبار عن مستقره في الدار الآخرة، وأنه في النار على التأييد. وعن حكمه في الدنيا؛ وأنه لا يجب القصاص بقتله، ولا يمكن من نكاح مسلمة، ولا عصمة لدمه وماله». والمؤلف نقل بالمعنى.

(١٦٧) فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة ص ١٩٧. قال الغزالي: «ولا ينبغي أن يظن أن التكفير ونفيه ينبغي أن يدرك قطعاً في كل مقام. بل التكفير حكم شرعي، يرجع إلى إباحة المال، وسفك الدم، والحكم بالخلود في النار». وانظر أيضاً ص ١٣٤، ٢١٠ من «التفرقة».

وقاله أيضاً الأبياري^(١٦٨)، وابن الشاط^(١٦٩) وغيرهم من الفحول رضي الله تعالى عنهم.

ثانيها: إذا ثبت أن التكفير شرعي، فما ضابط ما يكفر به في الشرع؟
وجوابه أن ذلك بثلاثة أمور:

الأول: ما كان نفس اعتقاده كفراً؛ كاعتقاد أنه - تعالى عن ذلك علواً كبيراً - عاجز، أو جاهل، أو ميت، أو معه شريك، إلى غير ذلك مما يناقض الجزء الأول من كلمة التقوى^(١٧٠).

الثاني: ما فيه تكذيب للنبي صلى الله عليه وسلم، كاعتقاد أنه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم ليس برسول، أو^(١٧١) لم يرسل لجميع العالمين، إلى غير ذلك مما يناقض الجزء الثاني من كلمة التقوى؛ التي هي قولنا: لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(١٦٨) أبو الحسن علي بن إسماعيل بن علي الأبياري. إمام عالم. برع في الفقه والأصول والكلام. له شرح نفيس على برهان إمام الحرمين. توفي سنة ٦١٦ هـ.
ترجمته في: الديباج ١٢١/٢-١٢٣، حسن المحاضرة ٤٥٤-٤٥٥/١، الشجرة ١٦٦/١، الفكر السامي ٢٣٠/٢.

(١٦٩) أبو القاسم قاسم بن عبدالله بن محمد بن الشاط، الأنصاري السبتي. إمام في الفقه والأصول. حسن المشاركة في المربية. ريان من الأدب. له مؤلفات حسنة. مولده بسبنة عام ٦٤٢ هـ، وتوفي بها عام ٧٢٢ هـ.

مترجم له في: الديباج ١٥٢/٢-١٥٣، الشجرة ٢١٧/١، فهرس الفهارس ٤١٣/٢، الفكر السامي ٢٣٩/٢.

(١٧٠) وهي الكلمة التي يتقى بها الله. وأعلى أنواع هذه الكلمة هي قول: لا إله إلا الله. والجمهور على أنها المراد - كما سيذكر المصنف قريباً - وكل كلمة يتقى الله بها بعدها فهي من كلمة التقوى.

وقد أخرج الترمذي عن الحسن بن قزعة البصري، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «والزمهم كلمة التقوى». قال: لا إله إلا الله.

وورد في كلمة التقوى غير هذا؛ فمن علي، وابن عمر، هي: لا إله إلا الله والله أكبر. وعن ابن عباس هي: شهادة أن لا إله إلا الله. وهي رأس كل تقوى. وعن عطاء، ومجاهد، وقتادة، هي: لا إله إلا الله محمد رسول الله. وعن سميد بن جبير: هي لا إله إلا الله والجهاد في سبيله.

انظر: جامع البيان للطبري ١٠٤/١٣-١٠٦، تفسير ابن كثير ١٩٦/٤-١٩٧، شفاء العليل لابن القيم ص ١٠٨.

(١٧١) في ب: أو أنه.

الثالث: ما اجتمعت^(١٧٢) الأمة على أنه لا يصدر إلا من كافر؛ كالسجود للصنم تعظيماً له واختياراً. وغير ذلك من الأقوال المقتضية للكفر؛ كالقول^(١٧٣) بقدم العالم والأفعال التي تتضمنه - أي الكفر - كالتردد للكنائس تعظيماً، ولبس الزنار، ونحو ذلك.

هذا معنى ما ذكره الفحول^(١٧٤)؛ كالغزالي، والأبياري، والباقلاني، وعياض، وعز الدين بن عبد السلام، وغيرهم، رضي الله عنهم، والله أعلم.

ثالثها: إذا ثبت ذلك^(١٧٥)؛ فليس اعتقاد المقلد الاعتقاد الصحيح المطابق للواقع بواحد من هذه الثلاثة. فإنه لم يعتقد في الحق سبحانه إلا الحق، ولا في الرسول صلى الله عليه وسلم إلا الصدق، ولا أتى أمراً اجتمعت الأمة على أنه لا يصدر إلا من كافر.

فثبت أن المقلد ليس بكافر على^(١٧٦) قواعد الشريعة المطهرة. ولا يصح تكفيره إلا على مذهب المعتزلة الذين يرون أن التكفير عقلي، وينسبون سائر الأحكام إلى العقل، ويُعرضون عن الشرع، ويرون أن شكر المنعم واجب بالعقل، وأن الإيمان من جملته واجب بالعقل، وأن الإيمان هو المعرفة الكائنة عن الدليل والبرهان، وأن كل ما لم يكن عن دليل ولا برهان فليس بمعرفة، فليس بإيمان، فيكون كفراً. فيكون المقلد كافراً.

فمن كفر المقلد فقد مر على مذهبهم، حتى قيل إن مسألة تكفير المقلد بقيت^(١٧٧) في

(١٧٢) في ب: ما أجمعت.

(١٧٣) في م: كالكفر.

(١٧٤) هذا الضابط على قواعد المرجئة لا على قواعد السلف؛ لأن مناط التكفير عندهم هو التكذيب فقط. ولهذا لا يكون الفعل كفراً عندهم إلا إذا تضمن التكذيب، سواء في توحيد الله تعالى، أو قبول ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم. بينما الكفر عند السلف: كفر تكذيب - وهو قليل -، وكفر إباء واستكبار - وهو الكفر العملي الغالب على بني آدم.

فالأول كاعتقاد كذب الرسول، أو جحد صدقه باللسان. وهو نادر الوقوع في الناس؛ لأن دعوة الرسل وأحوالهم وآياتهم تضطر الناس إلى التصديق بما معهم من الحق. والثاني كالامتناع عن الانقياد للحق الذي جاءت به الرسل. انظر: ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة ص ١٨٤.

الوعد الأخروي: شروطه وموانعه ٧٧١/٢ وما بعدها.

(١٧٥) إذا كان الأصل غير تام، فما فرغ عليه غير تام أيضاً.

(١٧٦) في ل: عن، والتصحيح من: ب و م و ط.

(١٧٧) في ل وم: بقية. والتصحيح من ب و ط، وفتح الباري ٢٦١/١٣ (ط. الريان).

مذهب أهل السنة^(١٧٨) من عقيدة المعتزلة. قاله أبو جعفر السمناني^(١٧٩) - وكان طوداً من أطواد الأشاعرة - نقله عنه أبو الوليد الباجي، وأبو الوليد الطرطوشي^(١٨٠). قلت: وهو صحيح، وإن^(١٨١) الشيخ الأشعري رضي الله عنه مر في تفسير الإيمان على مذهب الصالحي^(١٨٢) من المعتزلة واختاره، كما نص على ذلك القاضي أبو بكر الباقلاني في كتاب «الاجتهاد»، والأستاذ أبو بكر بن فورك^(١٨٣) في كتابه الذي جمع فيه مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه.

(١٧٨) يطلق على الأشاعرة أهل السنة، مع أنهم مخالفون لأهل السنة في أمهات مسائل العقيدة إلا الإمامة والخلافة.

(١٧٩) هو العالم الفاضل الثقة، أبو جعفر محمد بن أحمد بن محمد السمناني، برع في الكلام. وتخرج به في العقليات أبو الوليد الباجي.

ترجمته في: تبيين كذب المفتري ص ٢٥٩، السير وحواشيه ١٧/٦٥١-٦٥٢.

(١٨٠) المعروف بهذه النسبة هو: الحافظ الإمام المحدث، أبو بكر محمد بن الوليد بن سليمان بن أيوب الفهري، الطرطوشي. رحل إلى العراق بعد أن تققه بالأندلس، وأخذ عن علمائه. وتخرج به أئمة. توفي بئر الإسكندرية في جمادى الأولى عام ٥٢٠هـ.

والذي يكنى بأبي الوليد، شيخه أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي المتقدم. فعمل الأمر اختلط على المصنف، فأعطى كنية الأستاذ لتلميذه، أو لعل «أبو الوليد» حرفت من «ابن الوليد».

والطرطوشي - بضم الطاءين، بينهما راء ساكنة، وشين معجمة - نسبة إلى طرطوشة؛ وهي مدينة من آخر بلاد الأندلس. انظر: وفيات الأعيان ٢/٣٩٥.

وضبطها ياقوت في معجم البلدان ٢/٥٢٩ بفتح الطاء، وقال: مدينة بالأندلس تتصل بكور بلنسية؛ وهي شرق بلنسية وقرطبة، قريبة من البحر.

(١٨١) في ب: فإن.

(١٨٢) هو أبو الحسين محمد بن مسلم الصالحي المعتزلي. ترجم له في طبقات المعتزلة باقتضاب

فقال: «وكان عظيم القدر في الكلام، وكان يميل إلى الإرجاء، وله في ذلك مناظرات مع أبي الحسين الخياط». طبقات المعتزلة ص ٧٢.

ونقل عنه أبو الحسن الأشعري في المقالات (ط). محمد محيي الدين عبد الحميد) في مواضع من ج ١ ص ٢١٤، ٢٣٨، ٢٤٨، ٢٧٢، ٢٧٣. وناقشه أبو المعين النسفي في تبصرة الأدلة (ط). المعهد

العلمي الفرنسي، دمشق، ١٩١٢) وذلك في ص: ١٩٠، ١٩١، ٢٣١، ٢٥٧، ٢٦٤، ٢٩٩.

(١٨٣) هو الأديب النحوي المتمكن، أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني. رأس في فن

الكلام والأصول. مصنف كثير. توفي سنة ٤٠٦هـ، وقبره بنيسابور.

ترجمته في: التبصير في الدين ص ١١٩-١٢٠، تبيين كذب المفتري ص ٢٣٢، (إنباء الرواة ٢/١١٠،

وفيات الأعيان ٤/٢٧٢، السير وحواشيه ١٧/٢١٤-٢١٦.

وعبارة الأستاذ: «وحكى - أي الأشعري - في بعض كتبه^(١٨٤) عن أبي الحسن^(١٨٥) المعروف بالصالحى أنه كان يقول: إن الإيمان خصلة واحدة؛ وهو المعرفة بالله...»^(١٨٦)، إلى أن قال: «وإن الجهل بالله هو [بغض له واستكبار عليه واستخفاف به، وإن الجهل بالله هو]^(١٨٧) الكفر به». ثم قال بعد ذلك أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى: «والذي اختاره من الإيمان ما ذهب إليه الصالحى»^(١٨٨). مع^(١٨٩) أن الإيمان الشرعي خصال متعددة عديدة كما في شرح النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لسيدنا جبريل عليه الصلاة والسلام في حديث جبريل المعروف^(١٩٠).

(١٨٤) وهو في مقالات الإسلاميين ٢١٤/١.

(١٨٥) هكذا في الأصل، وهو تحريف. وكنيته كما في طبقات المعتزلة ص ٧٢، ومقالات الأشعري ٢١٤/١ وما بعدها، ومجرد مقالات الأشعري لابن فورك ص ١٥١: أبو الحسين.

(١٨٦) هذا قول الجهمية الغلاة في تفسير الإيمان، فإنهم يفسرون الإيمان بمجرد المعرفة القلبية، فيلزمهم أن إبليس مؤمن؛ لأنه عارف بقلبه: (رب بما أغويتني)، ويلزمهم أن أبا طالب كان مؤمناً؛ لأنه يقول: ولقد علمت بأن دين محمد خير أديان البرية ديناً.

فالإيمان عند أهل السنة والجماعة قول وعمل يزيد وينقص؛ يزيد بالطاعات، وينقص بالمعصيات.

انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي القاسم اللالكائي ١٥١/١-١٥٢، التمهيد لابن عبد البر ٢٣٨/٩، مجموع الفتاوى ٣٠٨-٣١٢، ٥٠٥.

(١٨٧) ما بين المقوفتين ساقط من ل و م و ط.

(١٨٨) مجرد مقالات أبي الحسن الأشعري لابن فورك ص ١٥١.

هذا، وقد اشتهرت هذه المقالة عن الأشعري: أي إن إيمان المقلد لا يصح. وقد أنكر أبو القاسم القشيري صحة ذلك عنه في رسالته شكاية أهل السنة، بحكاية ما نالهم من المحنة، واعتبره كذباً وزوراً. (والرسالة مطبوعة في طبقات الشافعية الكبرى ٣٩٩-٤٢٢).

ونقل الزركشي في البحر ٢٧٨-٢٧٩ عن أبي القاسم القشيري، والشيخ أبي محمد الجويني، وغيرهما من المحققين أن ذلك مكذوب على الشيخ الأشعري.

وأولَّه بعضهم بأن مراده بذلك - حتى لو صح عنه - قبول قول الغير بغير حجة. فإن التقليد بهذا المعنى قد يكون ظناً، وقد يكون وهماً. فهذا لا يكفي في الإيمان.

(١٨٩) في م: من، ولا يستقيم بها المعنى.

(١٩٠) هو في هذا الكلام لم يخرج عن مذهب الأشاعرة، لأن الإيمان عندهم شيء واحد فقط هو التصديق.

وقال في آخره: «ذلك جبريل جاء يعلمكم دينكم»^(١٩١)، والله أعلم.
وكما أن المقلد ليس بكافر فليس بعاص أيضاً بترك النظر؛ لأن أدلة وجوب
النظر نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا﴾^(١٩٢) الآية ﴿أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا﴾^(١٩٣) ﴿أَوْ لَمْ يَسِيرُوا﴾^(١٩٤)
﴿أَوْ لَمْ يَنْفَكُوا﴾^(١٩٥)، ونحوها كلها في الكفرة الذين يعتقدون ضد الحق. فأمرُوا بالنظر
ليرجعوا عن مذهبهم الباطل. لا فيمن اعتقد الحق من عامة المؤمنين.
نص عليه الحافظ ابن حجر^(١٩٦)، والقرطبي^(١٩٧)، والقاضي عياض^(١٩٨)، وغيرهم.

(١٩١) وهو حديث عبدالله بن عمر، عن أبيه عمر، قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر. لا يرى عليه أثر السفر. ولا يعرفه منا أحد. حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم. فأسند ركبته إلى ركبته. ووضع كفيه على فخذيه. وقال: يا محمد! أخبرني عن الإسلام. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم. وتقيم الصلاة. وتؤتي الزكاة. وتصوم رمضان. وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً». قال: صدقت. قال: فمجبنا له يسأله ويصدقته. قال: فأخبرني عن الإيمان. قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. وتؤمن بالقدر خيره وشره». قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان. قال: «أن تعبد الله كأنك تراه. فإن لم تكن تراه، فإنه يراك». قال: فأخبرني عن الساعة. قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل». قال: فأخبرني عن أمارتها. قال: «أن تلد الأمة ربها. وأن ترى الحفاة العراة، رعاء الشاء، يتطاولون في البنيان». قال: ثم انطلق، فلبثت ملياً، ثم قال لي: «يا عمر! أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنه جبريل، أتاكم يعلمكم دينكم».

أخرجه مسلم في الإيمان - باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، رقم (١)، واللفظ له. وأبو داود في السنة - باب في القدر، رقم (٤٦٩٥)، والترمذي في الإيمان - باب ما جاء في وصف جبريل للنبي الإيمان والإسلام رقم (٢٦١٠). وابن ماجه في المقدمة - باب في الإيمان، رقم (٦٣). والنسائي في الإيمان - باب نعت الإسلام، رقم (٥٠٠٥).

(١٩٢) ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْبُدُ إِلَّا إِلَهُنَّ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ سورة يونس: ١٠١.
(١٩٣) ﴿أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَكْذُوبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ من الآية ١٨٥ من سورة الأعراف.
(١٩٤) ﴿أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ يَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُرَّةً وَأَقْوَمُ الْأَرْضِ﴾ من الآية ٩ من سورة الروم.

(١٩٥) ﴿أَوْ لَمْ يَنْفَكُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ من الآية ٨ من سورة الروم.
(١٩٦) في فتح الباري ١٣/٣٦٤.

(١٩٧) المفسر في الجامع لأحكام القرآن ٨/٢٤٦، أو شارح مسلم في المفهم ١/١٤٥-١٤٦.

(١٩٨) في إكمال المعلم ٢/٤٦٧.

قالوا: لأن الأخبار تواترت تواترا معنويا على أنه صلى الله عليه وسلم لم يزد على أن دعا الخلق إلى الشهادتين^(١٩٩) وعبادة الله عز وجل فقط. ما دعا أحدا ممن^(٢٠٠) آمن إلى نظر واستدلال^(٢٠١).

رابعها: هل علم الكلام رافع للتقليد أم^(٢٠٢) ليس برافع؟ والجواب أنه ليس برافع للتقليد؛ لأن أدلته لا ينتهي جميعها إلى المشاهدة أو الضرورة^(٢٠٣). فإن كثيرا من أدلته يرجع إلى قواعد غير مشاهدة ولا ضرورية؛ مثل أن القبول نفسي أو ليس بنفسي، وتبني عليه قواعد عقائد كثيرة. ومثل أن السكون وجودي أو عدمي، وهل بينه وبين الحركة واسطة أم لا؟ وينبني على ذلك عقيدة عظيمة. ومثل أن العرض يبقى زمانين أو لا يبقى^(٢٠٤). ومثل أن الحال لا موجودة ولا معدومة. ومثل أن الوجود عين الموجود^(٢٠٥) أو زائد عليه. ومثل أن الوجود هو المصحح^(٢٠٦) للرؤية.

(١٩٩) هذا ينقض حصر وجوب النظر على الكفار؛ لأن معناه أن أول واجب هو الشهادة مطلقا. وهذا هو الصحيح. فالنظر أو القصد إلى النظر كلها ليست أول واجب؛ وإنما هي أمور مشروعة قبل الإيمان وبعده لتأثير الإيمان وتقويته، ومعرفة صفات الرب، وغير ذلك من فرائض النظر.

(٢٠٠) في م: عن، لا يستقيم بها المعنى.

(٢٠١) يشير إلى ما ثبت عنه عليه السلام من أنه كان يكتفي من الأعراب بالتصديق مع العلم بقصورهم عن معرفة النظر والأدلة. ففي صحيح مسلم - كتاب المساجد - باب تحريم الكلام في الصلاة. رقم (٥٣٧) عن معاوية بن الحكم السلمي في الجارية التي أراد عتقها. وسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فقال: «اثنتي بها». قال: فأتيتها بها. فقال لها: أين الله؟ قالت: في السماء. قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله. قال: أعتقها. فإنها مؤمنة.

والحديث دليل على الاكتفاء بالشهادتين في صحة العقيدة، وإن لم يكن عن برهان ونظر واستدلال. إذ لم يسألها النبي صلى الله عليه وسلم: من أين علمت ذلك؟ قال النووي في شرحه على مسلم ٢٥/٥: «وهذا هو الصحيح الذي عليه الجمهور».

راجع: إكمال المعلم ٤٦٦/٢-٤٦٧، المفهم ١٤٥/٢-١٤٦، النووي على مسلم ٢٤/٥-٢٥.

(٢٠٢) في ب: أو.

(٢٠٣) في ل و م: والضرورة.

(٢٠٤) الأشعري ومن تابعه على أن العرض لا يبقى زمانين؛ لأن الأعراض مبناه على التقضي والتجدد، وتخصيص كل بوقته للقادر المختار. وقالت الفلاسفة ببقاء الأعراض.

(٢٠٥) في ب: الوجود، وفي ط: ومثل أن الموجود عين الوجود.

(٢٠٦) في ل و م: الصحيح.

ومثل إبطال الوجود الذهني. ومثل إبطال أن العلم انطباع الصورة، إلى غير ذلك من الأمور المذكورة في علم الكلام التي ينبني عليها كثير من أدلتها^(٢٠٧)، حتى قال أبو حامد الغزالي رضي الله تعالى عنه: إن كثيراً من أدلة علم الكلام جدلية لا برهانية. وإذا كانت أدلة علم الكلام بهذه المثابة، لزم أنه غير رافع للتقليد؛ لأن الأمور المذكورة لا بد أن تؤخذ مسلمة، وذلك عين التقليد.

وأشار إليه القرطبي^(٢٠٨) شارح مسلم، نقله عنه الحافظ ابن حجر^(٢٠٩). وأشار إليه الغزالي في كثير من كتبه كـ «المستصفى»^(٢١٠)، و«المنقذ من الضلال»^(٢١١)، و«الاقتصاد»^(٢١٢)، وغيرها. حتى قال في «التفرقة»^(٢١٣): ولعلك إن أنصفت علمت أن من جعل الحق وقفاً^(٢١٤) على واحد من النظار بعينه فهو إلى الكفر والتناقض أقرب.

أما الكفر: فلأنه أنزله منزلة النبي المعصوم الذي لا يثبت الإيمان إلا بموافقته. وأما التناقض: فهو أن كل واحد من النظار يحرم التقليد. فكيف يقول: يجب عليك النظر مع تقليدي، أو يجب عليك أن تنظر ولا ترى في نظرك إلا ما رأيت. فكل ما رأيته حجة فعليك أن تراه حجة. وما رأيته شبهة فعليك أن تعتقده شبهة. وأي فرق بين من يقول: قلدني في (مجرد مذهبي، وبين من يقول: قلدني في) مذهبي، ودليلي معاً^(٢١٥).

(٢٠٧) هذه كلها قواعد كلامية خطيرة ينبني عليها ضلالات عقدية خطيرة.

(٢٠٨) في كتابه: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٦/٦٩٠-٦٩١.

(٢٠٩) في فتح الباري ١٣/٣٦٢.

(٢١٠) راجع: المستصفى من علم الأصول ٤/١١.

(٢١١) راجع: المنقذ من الضلال ص ٩٤-٩٩.

(٢١٢) راجع: الاقتصاد في الاعتقاد ص ٧٧-٧٨.

(٢١٣) فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة ص ١٢٢.

(٢١٤) ساقطة من م.

(٢١٥) في ب: متوقف.

(٢١٦) ما بين المعقوفتين ساقط من: ل و م و ط.

(٢١٧) في فيصل التفرقة: «أي فرق بين من يقول: قلدني في مذهبي، وبين من يقول: قلدني في مذهبي ودليلي جميعاً. وهل هذا إلا التناقض».

يعني أن كل واحد من النظائر يحرم التقليد ويوجبه، وذلك تناقض. وهم وإن أوجبوا النظر فإنما أوجبوه على تحجير وتقليد. فقد وقعوا في التقليد الذي فروا منه. فإن كل فريق من النظائر إنما يأمر من يأمره بالنظر على شرط أن يوافقه. فإن خالفه كان هالكا عنده. فهذا أَمْرٌ له بالتقليد لأهل ذلك الفريق، ولزوم متابعتهم في طريقتهم لئلا يهلك مع الهالكين في زعمه. فالناظر على هذا الطريق إذا رام تكفير المقلد، فإنما يروم تكفير نفسه؛ لأنه من المقلدين وهو لا يشعر. والله أعلم.

وقال في «المنقذ من الضلال»^(٢١٨): ثم إنني ابتدأت بعلم الكلام فحصلته، وطالعت كتب المحققين منهم. وصنّفت فيه ما أردت أن أصنف. فصادفتُ علما وافيا بمقصوده، غير واف بمقصودي. فمقصوده حفظ عقيدة^(٢١٩) أهل السنة؛ التي ألقى الله تعالى إلى عباده على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، كما نطق به القرآن والأخبار. فألقى الشيطان في وساوس المبتدعة أمورا مخالفة للسنة، فلهجوا بها، وكادوا^(٢٢٠) يشوشون عقيدة أهل الحق. فكشف المتكلمون من أهل السنة عن تلبيساتهم. فنشأ علم الكلام وأهله.

فقاموا رضي الله تعالى عنهم بما يجب في ذلك. ولكنهم اعتمدوا^(٢٢١) في ذلك على مقدمات تسلموها من خصومهم، اضطروهم إلى تسليمها إما التقليد، أو إجماع الأمة، أو الأخذ من القرآن والأخبار.

وكان أكثر خوضهم في استخراج مناقضة الخصوم، ومؤاخذتهم بلوازم مسلماتهم. وهذا قليل النفع في حق من لا يُسَلِّم سوى الضروريات.

فلم يكن الكلام في حقي كافيا، ولا له - أي الذي أشكوه - شافيا. إلى آخره^(٢٢٢).

(٢١٨) ص ٩٤-٩٩.

(٢١٩) في ب: حقيقة، وهو تحريف ظاهر.

(٢٢٠) في ل: وعادوا.

(٢٢١) في ل و م: اعتقدوا، والتصحيح من: ب، والمنقذ ص ٩٩.

(٢٢٢) تصرف المصنف كثيرا في النص حذفًا واختصارًا.

خامسها: أنك إذا حققت عقائد التوحيد وجدتها تنقسم إلى ثلاثة أقسام^(٢٢٢).

أحدها: ما يؤخذ من العقل^(٢٢٤).

ثانيها: ما يؤخذ من النقل^(٢٢٥).

ثالثها: ما يصح فيه الأمران^(٢٢٦).

ولا يحتاج إلى علم الكلام إلا في القسم الأول الذي هو مصححات الفعل من وجود وقُدرة وإرادة وعلم وحياة. فهذه الصفات لا يمكن أخذها من الشرع^(٢٢٧)، وإلا لزم عليه الدور؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يكون قوله لازماً حتى يثبت صدقه. ولا يثبت صدقه حتى تثبت المعجزة. ولا تثبت المعجزة حتى يثبت الفعل لله عز وجل. ولا يثبت الفعل لله عز وجل حتى تثبت مصححات الفعل. فلو توقف^(٢٢٨) ثبوتها على قول الرسول صلى الله عليه وسلم لزم الدور. وإذا صح إثبات هذه الصفات له تعالى من طريق أخرى مخالفة لعلم الكلام، لم يحتج لعلم الكلام أصلاً.

(٢٢٣) هذا التقسيم يقتضي أن أدلة القرآن ليس فيها أدلة عقلية، مع أنها مشتملة على أمهات البراهين القطعية. وقد علق الإمام ابن تيمية عليه بقوله: «وهذا التقسيم حق في الجملة؛ فإن من الأمور الغائبة عن حس الإنسان ما لا يمكن معرفته بالعقل، بل لا يعرف إلا بالخبر». (درء تعارض العقل والنقل ١/١٧٨).

غير أنه إذا فهم عُرِفَتْ خطورته؛ فما يؤخذ من العقل يقصدون به الصفات العقلية دون الخبرية، وما يؤخذ من النقل يقصدون به السمعية. وهذا غير صحيح؛ لأن المعاد يدل له العقل أيضاً. وما يصح فيه الأمران يقصدون به الرؤية. ففي باب الرؤية جعلوا العقل مساوياً، وهي السمعية جعلوا العقل عاطلاً، وهي الإلهيات جعلوا العقل حاكماً.

(٢٢٤) نحو حقائق الأشياء، كإدراك استحالة المستحيلات، وجواز الجائزات، ووجوب الواجبات العقلية لا التكليفية.

(٢٢٥) مثل جملة الأحكام الشرعية التي منها التحسين والتقييح، والوجوب، والندب، والإباحة، والحظر، إلى غيره من مجاري الأحكام الشرعية.

(٢٢٦) مثل كل علم لا يتعلق بأحكام التكليف ولا يتوقف التوحيد والنبوة على الإحاطة به؛ وذلك نحو إدراك جواز الرؤية، والعلم بجواز الغفران للمذنبين، والعلم بصحة التعبد بالعمل بخبر الواحد والقياس.

(٢٢٧) في م: من الشرح. ولا يستقيم به المعنى.

(٢٢٨) في ل: توقفت.

وهذه الطريقة هي البدهاء والضرورة التي قضى بها الأثر. فإن دلالة الأثر على المؤثر ضرورية مركوزة حتى في فطرة الصبيان والبهاائم فضلاً عن غيرهم. وقد نصّ على ذلك القاضي أبو بكر الباقلاني، كما نقله عنه ابن التلمساني^(٢٢٩) في «شرح المعالم». ونصّ عليه الفخر، ولا يحتاج إلى نص. فقد سألنا عنه - ولله الحمد - صفار الصبيان وضعفة العقول من العبيد والنسوان، فجزموا به بداهة، واستبشعوا السؤال عنه لبدهاته.

وما من عاقل عاقل ينظر إلى دار مبنية، حسنة البناء، حسنة الصنعة، رقيقة النقش، وثيقة المادة، رشيقة الصورة، إلا ويرحم بانيتها، ويشهد له بتمام الصنعة. وحسن المعرفة، ونفوذ القدرة، ومتانة العلم. فكيف لو^(٢٣٠) نظر إلى دار^(٢٣١) ذاته التي أخذ ترايبها وعمدها وخشبها وجيرها وحبالها وكل ما يدخل فيها من نطفة من ماء مهين. فإن من النطفة تصور عظمه ولحمه ودمه، وعروقه ورياضاته، وأوردته وشعره وبشره، وسمعه وبصره، وشمه وذوقه، وفهمه ومنطقه. ولو أن الخلائق بأجمعهم اجتمعوا على أن يبنوا داراً تكون مادتها مأخوذة من مجرد الماء؛ حتى يأخذوا [ترايبها]^(٢٣٢) من ذلك الماء، ويأخذوا منه حجرها، ويأخذوا منه جيرها، وكل ما يدخل في مادتها، لظهر^(٢٣٣) عجزهم. فسبحان الملك الخلاق.

فكيف ولو نظر العاقل إلى عجائب التشريح التي في عينه وأنفه ورأسه، وظهره وفقراته وصدره، وما احتوى^(٢٣٤) عليه باطنه من عجائب التشريح، لامتلاً قلبه إيماناً وابتهاجاً وسروراً بمعرفة ربه عز وجل.

قال أبو حامد رضي الله تعالى عنه: ولا يطالع التشريح وعجائب منافع الأعضاء

(٢٢٩) هو الفقيه الأصولي، عبدالله بن محمد بن علي، أبو محمد شرف الدين الفهرري التلمساني.

شافعي المذهب، صنف في الفقه والأصول. توفي بمصر عام ٦٤٢هـ.

انظر: طبقات الشافعية للأسنوي ٣١٦/١، الأعلام ١٢٥/٤.

(٢٣٠) في م: إذا.

(٢٣١) في ب: ذات ذاته.

(٢٣٢) ساقط من: م و ل.

(٢٣٣) في د: أظهر، وهو خطأ.

(٢٣٤) في د: وما استوى، وهو تحريف.

مطالع، إلا ويحصل له العلم الضروري بكمال تدبير الباني^(٢٣٥) لبنية الحيوان لاسيما بنية الإنسان.

وفي «الحلية»^(٢٣٦): عن جعفر الصادق^(٢٣٧)، عن أبيه، عن جده^(٢٣٨)، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله جعل لابن آدم الملوحة في العينين: لأنهما شحمتان»^(٢٣٩)، ولولا ذلك لذابتا. وجعل المرارة في الأذنين حجابا من الدواب. فإنه ما دخلت الرأس دابة إلا التمسست الوصول إلى الدماغ. [فإذا ذاق المرارة التمسست الخروج. وجعل الحرارة في المنخرين يستششق بهما^(٢٤٠)] الريح^(٢٤١)، لولا ذلك لأنتن الدماغ. وجعل العذوبة في الشفتين يجد بهما طعم كل شيء. ويسمع الناس [بها]^(٢٤٢) حلاوة منطقه. ومثل ذلك يحصل للناظر إذا تأمل في عجائب الأرض وغرائبها، وما فيها من بر وبحر، وما في كل منهما من الحيوانات التي لا يحيط بعلمها إلا الله عز وجل.

وكذا إذا نظر في عجائب السماوات ونجومها، وشموسها وأقمارها، وسيرها ومطالعها، وملائكتها والخلائق التي فيها، لعلم يقينا أن لها صانعا حكيما. فينظر إلى السماء واقعة على الأرض كأنها خيمة عظيمة لا نهاية لها. فيها سراج منير يضيء بالنهار على أهل الخيمة. وسرج كبيرة وصغيرة تضيء بالليل على أهلها. وتأمل في قدر^(٢٤٣) الخيمة، وعظمها، وعلو سمكها، وسعة دائرتها، ودخول جميع المخلوقات في

(٢٣٥) في ل: الباجي، ولا معنى له.

(٢٣٦) حلية الأولياء لأبي نعيم ١٩٧/٢.

(٢٣٧) هو الإمام الهاشمي العلوي المدني، جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أحد الأئمة الأعلام، الفقيه العالم، الثقة الصدوق، أكثر عن أبيه، وحدث عنه الأئمة، وأخرج له البخاري في غير الصحيح.

مترجم له في: الجرح والتعديل ٤٨٧/٢، حلية الأولياء ١٩٢/٣-٢٠٦، السير وحواشيه ٢٥٥/٦، ميزان الاعتدال ٤١٤/١-٤١٥.

(٢٣٨) هذا الإسناد جيد لو صح سماع علي بن الحسين زين العابدين من جده علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

(٢٣٩) هكذا في: ب، والحلية ١٩٧/٢. وفي م و ل و ط: شحمتا.

(٢٤٠) في ل و م: بها.

(٢٤١) ما بين المعقوفتين ساقط من م.

(٢٤٢) ساقطة من الأصل، ثابتة في الحلية ١٩٧/٢.

(٢٤٣) في ب: في قدرة.

جوفها هم ومواسيهم، وجميع ما يحتاجون إليه من حرث وتجر^(٢٤٤) وسير وغير ذلك من الأمور التي لا تحصى؛ فيعلم يقينا أن ذلك تقدير العزيز العليم، المنفرد بالألوهية، سبحانه لا إله إلا هو. قال تعالى: ﴿أَيُّ اللَّهِ شَكٌّ فَأَيُّ الشَّمَكُوتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢٤٥). وقال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَكُوتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾^(٢٤٦)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكُوتِ وَالْأَرْضِ وَاعْتِثافِ الْبَلَدِ وَالنَّهَارِ﴾^(٢٤٧).

وهكذا إذا تتبعنا النظر في أجزاء العالم وذرّاته، وجدت جميع ذلك يدل على وحدانية الحق سبحانه. ورحم الله من قال:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد^(٢٤٨)

وإذا لم تتوقف المصححات للفعل على علم الكلام لحصول معرفتها بداهة من دلالة الأثر باعتراف أكابرهم، ولم يتوقف غيرها عليه باعتراف جميعهم، كان توقف الإيمان على علم الكلام غير متعين ولا لازم؛ لأنه إذا علم وجود الحق سبحانه، واتصافه بالعلم والقدرة والحياة والإرادة من دلالة الأثر، انتقل إلى معرفة صدق الرسول صلى الله

(٢٤٤) التجر: اسم للجمع. وقيل: أصله: تجر يتجر تجرا وتجارة: باع واشترى. ورجل تاجر.

والجمع: تجار - بالكسر والتخفيف - وتجار وتجر، مثل صاحب وصحب.

انظر: مادة (تجر) في لسان العرب ٨٩/٤.

(٢٤٥) من الآية ١٠ من سورة إبراهيم.

(٢٤٦) من الآية ٥٧ من سورة غافر.

(٢٤٧) من الآية ٦٤ من سورة البقرة، و١٩٠ من آل عمران.

هذه الأمور لا تدل على مجرد وجود الله فقط، وإنما تدل على ذلك، وعلى صفاته، وعلى المطلوب الأهم؛ وهو إفرااد الله بالعبادة. ففي الاستدلال تقصير كبير، إذ وقف به عندما لا يدخل في الإيمان، ولا تحصل به النجاة.

(٢٤٨) نسب في الوفيات ١٢٨/٧ إلى أبي نواس، وفي تفسير ابن كثير ٥٧/١ والرواية الثانية في

الدين الخالص ٢٩٦/٢ لابن المعتز. ونسبه أبو الفرج في أغانيه ٢٥/٤ مع ثلاثة أبيات آخر إلى

أبي العتاهية إسماعيل بن القاسم. وهي في ديوانه ص ١١٢ مع بيت رابع؛ وهو:

ولله في كل تحريكة وفي كل تسكينة شاهد

عليه وسلم بالمعجزة^(٢٤٩).

وإذا علم صدقه بها تلقى منه علم الأصول وعلم الفروع. ويكون في ذلك أمنا مطمئنا. لا تعرض له شبهة، ولا يعتريه شك^(٢٥٠). فيتلقى من الرسول صلى الله عليه وسلم ما بقي من العقائد؛ كالقَدَم، والبقاء، والمخالفة، والقيام بالنفس، والوحدانية، والسمع، والبصر. والكلام، وحدث العالم بأسره، إلى غير ذلك من العقائد التي لا تتوقف^(٢٥١) عليها المعجزة.

وعلى هذا كانت القرون الفاضلة؛ مثل القرن الأول والثاني والثالث^(٢٥٢) إلى أن ظهرت البدع. ولهذا كانت أدلتهم رضي الله عنهم قريبة المرام، سهلة المأخذ. ولنذكر منها ما حضر في الحال؛ وذلك عشرة^(٢٥٣).

الأول: يروى^(٢٥٤) أن بعض الزنادقة أنكر الصانع عند جعفر الصادق. فقال جعفر رضوان الله عليه: هل ركبت البحر؟ قال: نعم. قال: هل رأيت أهواله؟ قال: نعم. هاجت يوما رياح هائلة، فكسرت السفن، وغرقت الملاحين. فتعلقت أنا ببعض ألواحها. ثم ذهب عني اللوح، فإذا أنا مرفوع^(٢٥٥) في تلاطم الأمواج، حتى دفعت إلى الساحل. فقال جعفر: هل كان اعتمادك من قبل على السفينة والملاح، وعلى اللوح؟ وحين ذهبت هذه الأشياء عنك، هل أسلمت نفسك للهلاك؟ أم كنت ترجو السلامة بعد؟ قال: بل رجوت السلامة. قال: ممن رجوت السلامة؟ فسكت الرجل. فقال جعفر: إن الصانع هو الذي كنت ترجو ذلك الوقت. وهو الذي أنجاك من الغرق. فأسلم الرجل على

(٢٤٩) المعجزة هي: أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم عن الممارسة. وهي إما حسية تشاهد بالبصر أو تسمع؛ كخروج النافذة من الصخرة، وانقلاب العصا حية، وكلام الجمادات، ونحو ذلك. وإما معنوية تشاهد بالبصيرة كمعجزة القرآن. أعلام السنة المنشورة ص ٩٢.

(٢٥٠) في ل و م و ط: شيء.

(٢٥١) في ل: تتوقف. وهو مغير للمعنى تماما.

(٢٥٢) أبداً لم يكن السلف على هذه الصفة؛ إنما كان إيمانهم يبدأ بالنطق بالشهادة ثم العمل، لا بهذه الطريقة المعقدة.

(٢٥٣) نقل المصنف هذه الحكايات كلها من التفسير الكبير للفخر الرازي ٩٨/٢-١٠٠ على اعتبار أنها طرق لطيفة لعلماء السلف في الاستدلال على وجود الله.

(٢٥٤) في ل: يرون.

(٢٥٥) في ب: مدفوع.

الثاني: أن أبا حنيفة رحمه الله كان شديداً^(٢٥٧) على الدهرية^(٢٥٨). وكانوا ينتهزون الفرصة منه ليقتلوه. فبينما هو قاعد في مسجد إذ هجم عليه جماعة بسيوف مسلولة، وهموا بقتله. فقال لهم: أجيبيوني عن مسألة ثم افعلوا ما شئتم. فقالوا: هات. فقال: ما تقولون في رجل يقول: إني رأيت سفينة مشحونة بالأحمال، مملوءة بالأثقال، قد احتوشتها^(٢٥٩) في لجة البحر أمواج متلاطمة، ورياح مختلفة. وهي من^(٢٦٠) بينها تجري جريا سريعا. ليس لها مَلَأَحٌ يجريها، ولا دافع يدفعها. هل يجوز ذلك في العقل؟ فقالوا: هذا شيء لا يقبله العقل. فقال لهم أبو حنيفة: يا سبحان الله! إذا لم يجز في العقل سفينة تجري من غير ملاح، فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها، وتغير أعمالها، وسعة أطرافها، وتباين أكنافها من غير صانع وحافظ؟ فبكوا جميعا وقالوا: صدقت. وأغمدوا سيوفهم وتابوا^(٢٦١).

الثالث: أن الدهرية سألوا الشافعي رضي الله تعالى عنه على الدليل على الصانع، فقال: ورقة الفرصاد^(٢٦٢)؛ طعمها ولونها وريحها واحد، وطبعها واحد عندكم؟ قالوا: نعم.

(٢٥٦) وردت هذه الحكاية بألفاظ قريبة مما ذكر المؤلف هنا في كتاب ربيع الأبرار ونصوص الأخبار للزمخشري، نقلاً عن كتاب: المناظرة للإمام جعفر الصادق ص ٢٣.

(٢٥٧) في التفسير الكبير ٩٩/٢: سيفاً.

(٢٥٨) الدهرية: فرقة إلحادية، تنكر وجود اليوم الآخر، وما فيه من بعث وحساب وثواب. وترى أن نهاية الإنسان هي موته. ولا تؤمن إلا بهذه الحياة.

(٢٥٩) أحاطت بها الأمواج، وأنتها من كل جانب. يقال: احتوش بالشيء: أحاط به. واحتوش القوم فلانا وتحاشوه بينهم: جعلوه وسطهم. واحتوش القوم الصيد وتحاشوه: إذا نفره بعضهم على بعض.

انظر: مادة (حوش) في اللسان ٢٩٠/٦، مختار الصحاح ص ١٤٢، القاموس ص ٧٦٢.

(٢٦٠) ساقطة من م.

(٢٦١) وردت هذه الحكاية بنصها في التفسير الكبير ٩٩/٢، ووردت بألفاظ متقاربة في: مناقب أبي حنيفة للموفق المكي ص ١٥١، ومناقب أبي حنيفة للحافظ الكردي ص ٢٢٥، وعيون المناظرات للسكوني ص ٢١٤، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص ٢٥-٣٦، وإشارات المرام للبياض ص ٨٥. وتحكى أيضاً عن غير أبي حنيفة.

(٢٦٢) هي ورق التوت.

قال: فتأكلها دودة^(٢٦٣) القز فيخرج منها الإبريسم، والنحل فيخرج منها العسل، والشاة فيخرج منها البعر. وتأكلها الطباء فيتعقد في نوافجها المسك. فمن الذي جعلها كذلك مع أن طبعها واحد؟ فاستحسنوا منه ذلك، وآمنوا على يديه وهم سبعة عشر^(٢٦٤).

الرابع: سئل أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه^(٢٦٥)، فقال: انظروا إلى قلعة ملساء بيضاء^(٢٦٦) لا فرجة فيها. ظاهرها كالفضة المذابة^(٢٦٧). وباطنها كالذهب الإبريز. ثم انشقت وخرج منها حيوان سميع بصير^(٢٦٨). فلا بد من الفاعل الذي اعتنى بالقلعة البيضاء، وبالحَيوان الفرح^(٢٦٩).

الخامس: سأل هارون الرشيد مالكا رضي الله تعالى عنه عن ذلك^(٢٧٠)؛ فاستدل باختلاف الأصوات، وتردد النغمات، وتباين اللغات^(٢٧١).

السادس: سئل أعرابي عن الدليل على الصانع، فقال: البعرة تدل على البعير، والروث على الحمير، وآثار^(٢٧٢) الأقدام على المسير. فسماء ذات أبراج. وأرض ذات فجاج. وبحار ذات أمواج. أما تدل على العليم القدير^(٢٧٣).

(٢٦٣) في م: دود.

(٢٦٤) التفسير الكبير ٩٩/٢، ووردت بالفاظ قريبة مما ذكر المصنف في تفسير ابن كثير منسوبة إلى الإمام الشافعي ٥٧/١.

(٢٦٥) أي ما الدليل على وجود الصانع؟

(٢٦٦) ساقطة من م.

(٢٦٧) في ب: المذبة.

(٢٦٨) يعني بذلك البيضة إذا خرج منها الدجاجة.

(٢٦٩) التفسير الكبير ٩٩/٢، ونقل ابن كثير في تفسيره هذه الحكاية منسوبة إلى الإمام أحمد ٥٧/١.

ووردت بالفاظ قريبة مما ذكر المصنف، منسوبة إلى جعفر الصادق في كتاب: ربيع الأبرار ونصوص الأخبار للزمخشري ٤٥٠/٤.

(٢٧٠) أي ما الدليل على وجود الصانع؟

(٢٧١) التفسير الكبير ٩٩/٢، ونقله ابن كثير في تفسيره عن الرازي ٥٧/١.

(٢٧٢) ساقطة من ل.

(٢٧٣) التفسير الكبير ٩٩/٢، وانظر أيضاً: تفسير ابن كثير ٥٦/١، ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان ص ٨٢.

السابع: سئل طيبب بم عرفت ريك؟ فقال: بنحلة بأحد طرفيها عسل، وبالطرف الآخر لسع؛ وهو مقلوب عسل^(٢٧١).

الثامن: سئل أبو نواس عنه^(٢٧٥) فقال:

تأمل في رياض الأرض وانظر إلى آثار ما صنَّع المليكُ
عيون من لجين جاريات على أطرافها الذهب السبيك
على قضب الزمرد شاهدات بأن الله ليس له شريك^(٢٧٦)

التاسع: سئل طيبب: بم عرفت ريك؟ فقال: بأهليلج^(٢٧٧) يجفف الحلق^(٢٧٨)، ويلين البطن^(٢٧٩).

العاشر: في كتاب ديانات العرب^(٢٨٠)؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمران^(٢٨١) بن حصين رضي الله عنه: كم لك من إله؟ قال: عشرة. قال: من ترجوه

(٢٧٤) التفسير الكبير ١٠٠/٢.

(٢٧٥) أي ما الدليل على وجود الصانع؟

(٢٧٦) التفسير الكبير ٩٩/٢. والأبيات في ديوان أبي نواس - تحقيق: محمود كامل فريد ص ٢٧٥ (ولا توجد في ديوانه الذي حققه أحمد الغزالي)، أحسن ما سمعت للثعالبي ص ١٠-١١، تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢٧٩/٤-٢٨٠، البداية والنهاية لابن كثير ٢٤٥/١٠-٢٤٦، تفسير ابن كثير ٥٧/١، الدين الخالص لمحمد صديق حسن ٣٩٦/٢.

(٢٧٧) في م: بأهليلج. والإهليلج - وقد تكسر اللام الثانية -: ثمر: منه أصفر، ومنه أسود - وهو البالغ النضج -، ومنه كابل، ومنه صيني. ومنافعه كثيرة: يخرج الثقل من البطن، ويحفظ العقل، وينشف، ويقوي الحواس، ويزيل الصداع، وينفع المعدة... انظر: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار ٥٠٢/٢-٥٠٤.

(٢٧٨) في م: الحق، وهو خطأ.

(٢٧٩) التفسير الكبير ١٠٠/٢.

(٢٨٠) كتاب ديانات العرب في جاهليتها، نسبه السجلماسي في كتابه (القول المعتبر ورقة ١٢١) للمسعودي.

(٢٨١) في النسخ كلها: عمران بن حصين، وهو خطأ. بل قال لحصين والد عمران كما في جامع الترمذي.

منهم للأمر العظيم إذا نزل بك؟ قال: قال: الله. قال: مالك إله غيره^(٢٨٢).

ولننبه بعد هذا على أمور مهمة، فنقول:

الأول: إن القاضي أبا بكر الباقلاني رضي الله تعالى عنه لما ادعى الضرورة في إثبات المصححات له تعالى عند ظهور الإتيان في الكائنات، وعوّل في ذلك على حكم البدهة والقطع^(٢٨٣) دون إلحاق الغائب بالشاهد، اعترضه الأمدي رحمه الله تعالى في أبحاث الأفكار^(٢٨٤) «بأن العلم الضروري بذلك وإن كان واقعا في الشاهد جريا على العادة؛ فإن من رأى بناء^(٢٨٥) مرتفعا، وصناعة محكمة في الشاهد، اضطره عقله إلى العلم يعلم صانعه وقدرته وإرادته. ولا يلزم ذلك في الغائب، وإلاّ اطرّد ذلك فيما نعلمه بالضرورة في الشاهد؛ من كون صانع البناء المحكم حيوانا متحركا بالإرادة، متغذيا ناميا مولدا، وليس كذلك.

وأیضا فإنه لو خلی الإنسان ودواعي نفسه [من مبدأ نشئه إلى آخر عمره من غير التفات إلى نظر أو تقليد، لم يجد من نفسه]^(٢٨٦) العلم بذلك في حق الغائب أصلا. ولو كان بديهيا لما كان كذلك، ولما خالف فيه أكثر العقلاء. وإن اكتفى في ذلك بمجرد الدعوى لم يؤمن من المقابلة بمثله في طرف النقيض...»^(٢٨٧).

قلت: وفيه نظر من وجوه:

الأول منها: أنه جعل العلم الضروري بذلك منشأ جري العادة واطرادها، وليس كذلك. ولو كان من جري العادة لجوز العقل تخلفه يوما ما. وتخلفه مستحيل؛ لأن وجود الفعل ملزوم لوجود فاعله. ويستحيل وجود الملزوم بدون لازمه. فهذا هو منشأ العلم الضروري بذلك [في الغائب]^(٢٨٨)، لا ما ظنه من جري العادة.

(٢٨٢) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات - باب جامع الدعوات برقم (٣٤٨٣) عن عمران بن حصين بلفظ: «قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي: يا حصين كم تعبّد اليوم إلهاً؟ قال أبي: سبعة، ستا في الأرض، وواحدا في السماء. قال: فأيهم تعد لرغبتك ورهبتك؟ قال: الذي في السماء...»

(٢٨٣) في م: والمقل.

(٢٨٤) أبحاث الأفكار في علم أصول الدين، وفي ط: إنكار الأذكار، وهو تحريف.

(٢٨٥) في م: بنيانا.

(٢٨٦) ساقط من ط.

(٢٨٧) أبحاث الأفكار ١/٥٦.

(٢٨٨) ساقط من م و ل.

والثاني منها: أنه جعل العلم الضروري بذلك في الغائب من قياسه على الشاهد، فيرجع إلى الاستدلال التمثيلي وليس كذلك. وإنما هو من القياس المنطقي^(٢٨٩) الذي فيه إثبات حكم الكلي للجزئي. فإن وجود فعل مخصوص جزئي من الجزئيات المندرجة في قولنا: وكل فعل لابد له من فاعل. فيكون القياس المنطقي هكذا: هذا فعل. وكل فعل لابد له من فاعل. فهذا لابد له من فاعل، سواء كان فاعله مشاهداً أو غائباً. فتبين أن ثبوت الحكم في الغائب بالقياس المنطقي المفيد بالقطع، لا بالقياس التمثيلي كما ظنه الأمدي رحمه الله تعالى.

والثالث منها: أن وجود الفعل ملزوم لوجود فاعله من حيث إنه فاعل. فكل ما يدخل في^(٢٩٠) مفهوم الفاعل، [يدخل في اللزوم والبداهة والضرورة. وكل ما لا يدخل في مفهوم الفاعل]^(٢٩١)، فلا يدخل في لزوم ولا بداهة ولا ضرورة. ولا شك أن المصححات داخلة في مفهوم الفاعل، فتدخل في البداهة والضرورة. وأما الحيوانية والتحرك والتغذية والنمو والتوالد فلا دخل لها في مفهوم الفاعل؛ لجواز كونه غير حيوان، بأن يكون جنناً أو ملكاً أو غير ذلك. فلا يصح ما ذكره من لزوم الاطراد. - أي اطراد الضرورة والبداهة في هذه الأوصاف - . أعني الحيوانية وما ذكر معها. وإنما لم يصح ذلك لما تحققته من وجود الفارق، وهو عدم دخولها في مفهوم الفاعل، فلا تطرد فيها البداهة والضرورة.

وقوله: وأيضاً، فإن الإنسان لو خلي ونفسه لم يجد من نفسه العلم بذلك في حق الغائب أصلاً، مردود بقوله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(٢٩٢) ويقولوه تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾^(٢٩٣) ويقولوه تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَأَطِيعُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢٩٤) ويقولوه تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُ الْمَظْهُرَ فِي

(٢٨٩) القياس المنطقي أو العقلي: كلام مؤلف من مقدمتين فأكثر، يتولد منهما نتيجة؛ وهي المطلوب إثباتها أو نفيها. أو: قول مؤلف من قضايا، متى حصل التسليم بها؛ لزم عنه لذاته قول آخر. كقولنا: العالم متغير. وكل متغير حادث. ويلزم من هاتين القضيتين قول آخر، وهو: العالم حادث.

(٢٩٠) في ل: من.

(٢٩١) ساقط من ب.

(٢٩٢) من الآية ٨٧ من الزخرف.

(٢٩٣) الزخرف: ٩.

(٢٩٤) من الآية ١٠ من سورة إبراهيم.

الْبَحْرِ صَلَّ مَنْ نَدَعُونَ إِلَّا إِلَاهًا ﴿٢٩٥﴾ ويقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ بَيْنَكُمْ وَأَنفُسِكُمْ هَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةُ أَعْبَدُوا اللَّهَ تَدْعُونَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩٦﴾ قُلْ إِنَّمَا نَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٢٩٦﴾

دلّت هذه الآيات وأمثالها على أن العلم به تعالى مركز في الفطر. وإنما يخطئه ترادف النعم، ويظهره نزول ﴿٢٩٧﴾ النقم، فيحصل حينئذ وإن لم يلتفت صاحبه إلى نظر ولا تقليد. وليت شعري كيف يخفى على النفس وجود فاعلها سبحانه، وهي محتاجة له في كل لحظة. سائلة منه تعالى [حوائجها] ﴿٢٩٨﴾ في كل طرفة. وهذا أمر لازم لكل نفس. لا يجهله أحد، اللهم إلا أن يجحده بلسانه فقط. وقد كنا صغارا، وهذه الحالة مركوزة في فطرننا، وفي فطر الصبيان الذين كنا نلعب معهم، فكيف يسوغ للعاقل أن يقول: لو خلي الإنسان ونفسه لم يجد من نفسه العلم بذلك في حق الغائب أصلا، والمشاهدة تنادي على خلافه.

وقوله: ولو كان بديها لما خالف فيه أكثر العقلاء. وهو كما ترى أيضاً؛ فإن المخالف فيه مفقود غير ﴿٢٩٩﴾ موجود في هذا العالم؛ كما ذهب إليه صاحب ﴿٣٠٠﴾ «تلخيص المحصل»، أو قليل جداً بحيث لا يعبا به؛ كما ذهب إليه الشهرستاني ﴿٣٠١﴾ وغيره.

ثمّ خلافه مع ذلك مبني على إنكار ما ليس بمحسوس ولو كان بديها، فهذا الخلاف من جملة الخلاف في إنكار البديهيّات. فَلَا يَقْدَحُ ﴿٣٠٢﴾ خلافهم في دلالة الأثر، كما لا يقدح في سائر البديهيّات.

(٢٩٥) من الآية ٦٧ من الإسراء.

(٢٩٦) الآيتان ٤٠ و ٤١ من الأنعام.

(٢٩٧) في م: زوال النعم.

(٢٩٨) ساقط من ب.

(٢٩٩) في م: وغير (بزيادة الواو).

(٣٠٠) وهو العلامة نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن الطوسي الفيلسوف (ت ٦٧٢هـ).

(٣٠١) في كتابه: نهاية الأقدام ص ١٧٢ وما بعدها.

(٣٠٢) في ط: ولا يقدم، وهو تحريف.

وقد تناظر طبيب سمني من سمنية^(٢٠٢) الهند مع جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه، فقال الطبيب: صانع العالم غير محسوس. ولا أصدق إلا بمحسوس بواحد من الحواس الخمس الظاهرة، التي هي السمع والبصر والشم والذوق واللمس. فقال جعفر: فأنت^(٢٠٣) تصدق بالعقل فيك، وهو غير محسوس بواحد من هذه الحواس، فانقطع ولم يدر ما يقول.

فانظر وفقك الله؛ هل يُعتد بخلاف يكون صاحبه علي مثل هذه الصفة؟ أم كيف يحتفل بنزاع ينبنى على إنكار البديهيات؟

ثم قال جعفر رضي الله تعالى عنه للطبيب: ما تقول في الطفل تضعه أمه، فإنه لا يستدل على الثدي بالحواس، فإنه لا يسمع ولا يبصر وهو يطلب الرضاع، فيتلمذ، ويشبع باللبن، ويضحك بعد البكاء إذا روي. فعلمنا أن الذي قدر ذلك في قلب الصبي حتى علم - وهو مضغة - مدبر حكيم. وإلا فأَي الحواس دليل للصبي على طلب الرضاع، ومص الثدي، وإساعة^(٢٠٤) اللبن، وقذفه في جوفه، حتى طلب ما لم يَعْرِفَه فقط؟ وأي الحواس دلت على الضحك إذا شبع، وعلى البكاء إذا جاع؟ وأي الحواس دل الطير على لقط الحب منها ومن فراخها؟ ومن دل السباع منها على ابتلاع^(٢٠٥) اللحم دون الالتقاط للحب؟ وأي حواس طير دلتها على السباحة إذا ألقيت في الماء؟ وكيف دلت حواس طير الماء على الماء، وانتفعت بها على السباحة، ولم ينتفع طير البر بحواسه في السباحة، والحواس واحدة؟ أم ما بال الذرة إذا طرحت في الماء سبحت، وهي لم تتعلم ذلك قبل الطرح قط. ويلقى الإنسان من أقوى الرجال وأعقلهم لم يتعلم السباحة فيغرق؟ كيف لم يدله عقله ولبه وتحريفه وبصره واجتماع حواسه فيه، وهي صحيحة، أن يدرك ذلك بحواسه كما أدركته الذرة؟ فعلمنا أن الذي هيج الصبي على طلب الرضاع، والطير على لقط الحب، والسباع على ابتلاع اللحم، والطير والذرة على السباحة، لمدبر حكيم.

(٢٠٢) السمنية: طائفة تقول بإبطال النظر والاستدلال. وتزعم أنه لا معلوم إلا من جهة الحواس الخمس. وينكر أكثرهم المعاد والبعث بعد الموت.

راجع: الفرق بين الفرق ص ٢٧٠، الإرشاد للجويني ص ٢، غاية المرام للآمدي ص ١٥-١٨، المغني للقاضي عبد الجبار ٧٧/٢.

(٢٠٤) في ل: أنت.

(٢٠٥) في ل و ط: وإساعة.

(٢٠٦) في ط: اتباع.

فإن قلت: كيف يصح إنكار (وجوده)^(٢٠٧) المعطلة، وقد قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُبْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ (٢٠٨) ١٩

قلت: هؤلاء الذين قالوا هذا القول - وهم كفار قريش-؛ هم^(٢٠٩) الذين قيل في شأنهم: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ يَقُولُ اللَّهُ﴾^(٢١٠) وغير ذلك من الآيات السابقة. فوجب المصير إلى الجمع: بأن تحمل آية الدهر على إنكار البعث فقط، فتكون بمنزلة قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِنَّا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِبَارِعِينَ﴾^(٢١١). وحينئذ فلا منافاة بين إنكار البعث في آية الدهر، والإقرار بالصانع سبحانه في غيرها.

أو^(٢١٢) تحمل آية الدهر على قول اللسان دون اعتقاد الجنان، ويحمل غيرها على اعتقاد الجنان. ولا منافاة بين إقرار القلب والجنان بالصانع وإنكار اللسان له، والله أعلم.

الثاني: لما ادعى الفخر الضرورة في دلالة الأثر وقال: إن العلم بها مركوز في فطرة الصبيان. فإنك إذا لطمت وجه الصبي من حيث لا يراك وقلت له: إنما حصلت اللطمة من غير فاعل لم يصدقك. بل في فطرة البهائم؛ فإن الحمار إذا أحس بصوت الخشبة فزع، لأنه تقرر في فطرته^(٢١٣) أن حصول صوت الخشبة بدون الخشبة محال.

اعترضه ابن التلمساني بأنه من أعجب ما يذكر؛ أن البهائم تدرك قضايا كلية ولو أزمها. فلو قدر حمار أو حيوان [عمره]^(٢١٤) لم يضرب قط بخشبة، لم ينفر من صوتها البتة. ولكن لما تكرر عليه ذلك التآلم عند سماعها، تخيلت من حسها^(٢١٥) الألم

(٢٠٧) ساقطة من م، وفي ط: وجود المعطلة.

(٢٠٨) من الآية ٢٤ من الجاثية.

(٢٠٩) ساقطة من م.

(٢١٠) من الآية ٨٧ من الزخرف.

(٢١١) في الأصل: وقالوا ما هي، وهو خطأ.

(٢١٢) الأنعام: ٢٩.

(٢١٣) في م وتحمل.

(٢١٤) في ب: فطرته.

(٢١٥) ساقطة من ل و م.

(٢١٦) في ب: مسها.

[عند^(٣١٧) سماعه لمقارنته^(٣١٨) المؤلم، وعدم الانفكاك في خياله. كما أن السليم ينفر من الحبل^(٣١٩) المبرقش، لمقارنته للأذى^(٣٢٠) عنده. وهذا من الخيالات، لا من التمييز العلمي.

قلت: مراده بالقضايا الكلية: الصغرى والكبرى، ويلوازمها: النتيجة؛ لأن القياس هكذا: هذا صوت. وكل صوت لا بد له من خشبة. فهذا لا بد له من خشبة. فالصغرى شخصية، وغلب عليها الكبرى، فوصفهما معا بالكلية، ثم فيه بعد ذلك أمور: أحدها: قال مجاهد وغيره في قوله تعالى: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الْإِنْسَانُ أَنْفَ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٣٢١) قال: عَلَّمَ كل دابة كيف تتقي عن نفسها وتدفع.

وعن الحسن في قوله تعالى: ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَى﴾^(٣٢٢) قال: أعطى كل شيء ما يصلحه ثم هداه له. وعن مجاهد: سوى خلق كل دابة، ثم هداه لما يصلحها، وعلمها إياه. وعنه أيضاً: أعطى كل شيء صورته، ثم هداه^(٣٢٣) لمعيشتها^(٣٢٤).

وعن ابن عباس وابن جبير: أعطى كل شيء خلقه؛ أي شكله للإنسان زوجة، وللبعير ناقة، وللفرس رمكة، وللحمار أتاناً. ثم هدى: عرف وعلم، وألهم إلى الأكل والشرب، والجماع، وطلب المرمى، وتوقي المهلك، وكيف يأتي الذكر الأنثى.

وأخرج ابن أبي حاتم^(٣٢٥) عن ابن سابط^(٣٢٦) قال: «ما أبهمت عليه البهائم؛ فلم

(٣١٧) ساقطة من ل و ط.

(٣١٨) في م: لمقارنة.

(٣١٩) في م: الجمل.

(٣٢٠) في ب: الأذى.

(٣٢١) من الآية ٨٨ من النمل.

(٣٢٢) من الآية ٥٠ من طه.

(٣٢٣) في ب و م: ثم هداه لمعيشته.

(٣٢٤) في م: لمعيشته. والآثار أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٤٢٤/٧-٢٤٢٥، وذكرها ابن كثير

في تفسيره ١٥١/٣.

(٣٢٥) في تفسيره ٢٤٢٥/٧.

(٣٢٦) عبدالرحمن بن سابط. ويقال: عبدالرحمن بن عبيد الله بن سابط. الجمحي، المكي. تابعي

ثقة، كثير الإرسال. روى عن عمر وسعد بن أبي وقاص ومعاذ والعباس وغيرهم. له في صحيح

مسلم حديث واحد في الفتن. ذكره البخاري وأبو حاتم وابن حبان في الثقات. مات سنة

١١٨ هـ.

انظر: الجرح والتعديل ٢٤٠/٥، تهذيب التهذيب ١٨٠/٦، التقريب ص ٢٨٢.

تبهم على أربع: تعلم أن الله تعالى ربهما. ويأتي الذكر الأنثى. وتهتدي لمعاشها. وتخاف الموت».

ثانيها: قد علمت من هذه الآثار السلفية؛ أن البهائم مفطورة على معرفة خالقها سبحانه، وإتقاء الشر وغيرهما^(٢٢٧) مما سبق ذكره. فكان الصواب مع الفخر رضى الله تعالى عنه، لامع ابن التلمساني رحمه الله؛ بشهادة الآثار السابقة الدالة على أن^(٢٢٨) علوم البهائم بما سبق، فطرية لا مكتسبة بالتكرار ونحوه. وتشهد بذلك أيضاً المعايينة.

ولنذكر في ذلك حكايات^(٢٢٩).

منها: أني كنت ذات يوم جالساً في خيمة، وفيها قط صغير، يلعب ويفرح بنفسه، ولا يدخل أحد الخيمة؛ إلا فرح به، ولعب معه، ويأتي في ذلك بكل ما يقدر عليه. ثم اتفق أن نام القط، وخرج رب الخيمة، فوجد جرو ذئب صغير؛ بحيث إنه لم يفتح عينيه، فأدخله الخيمة، وجعله بإزاء القط النائم. فاستيقظ القط، فنظر جرو الذئب، فجعل يرتعد وينتفض، إلى أن سقط مغشياً عليه. فأخرجنا الذئب. وبقي القط على حالته يوماً وليلة. ثم استيقظ، وبه من المرض ما لا يقدر. وقد غيبنا الذئب عن ساحته بالكلية، فما برئ من مرضه وخوفه إلا بعد أيام. فأني تكرر مرّاً على هذا القط؟ وبأي شيء حصلت تجربة عداوة الذئب له؟ ولكن الأمر كما قال تعالى: ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْفَهُ ثُمَّ هَدَى﴾.

ومنها؛ قال بعض أصحابنا: كانت له بقرة تسرق الحشيش بالليل. فتأتي إلى الفدان فتأكل ما فيه. ثم ترجع إلى موضعها، وتصبح فيه كأنها باتت فيه. فكثرت الشكاية من أرباب الفدادين. ولم يدرك^(٢٣٠) أحد من اشتغل بذلك. حتى نظرت امرأة إلى البقرة،

(٢٢٧) في ل و ط: وغيرها.

(٢٢٨) ساقطة من م.

(٢٢٩) ساق المولف هنا حكايات شعبية رائجة في عصره، خاصة بين المتصوفة وأرباب المقامات، ليستدل منها على أن البهائم مفطورة على معرفة خالقها، وإصلاح شأنها، وتوقي ما يعرض لها من شرور ومهلك... ساقها مساق مطلع على ثقافة عصره، عالم بالأساليب والطرق الذائنة في زمنه، شاعر بما يشغل الناس ويستأثر باهتمامهم.

وكان ينبغي أن ينزه كتابه من هذه الحكايات، سيما وقد نقل من آثار السلف ما يغني عنها.

(٢٣٠) في ل و م: بياض، والتصحيح من ط.

فرأت بطنها مملوءاً شبعاً^(٢٣١). فعلمت أن ذلك من سرقتها ليلا. قال: فقيدتها ليلا لتقطع سرقتها. فجعلت تذهب إلى الفدان مقيدة. فرمقتها، فإذا هي تمشي خطوة، ثم تقف، تنظر يمينا ويسارا^(٢٣٢) هل ترى أحدا. ثم تخطو خطوة أخرى، وتقف تنظر هل ترى أحدا، حتى تبلغ إلى الفدان الذي تريد سرقة. فتأكل منه حتى تشبع. ثم ترجع؛ وهي تمشي مشية الخائف من جنايته إلى أن تبلغ إلى محلها. فتركها ذات ليلة حتى كانت في وسط الطريق - وهي ذاهبة إلى الفدان، واقفة تنظر هل ترى أحدا - فصاحت بها، فجعلت تجري راجعة بأقصى ما فيها من الجري وهي مقيدة. ثم لم تتب من ذلك. فجعلت إذا قيدتها عكستها؛ أي ربطت قرننها برجلها. فجعلت تحيل حتى تقطع ذلك الذي وقع به العكس، وتذهب للسرقة. فقلت: ما ينفع مع هذه البقرة إلا التكميم لضمها. فلما كممتها تابت؛ لأنها علمت إن ذهبت إلى الفدان لا تجد بما تأكل به. فأي تكرار وقع لهذه البقرة؟

ومنها: أني لما ذهبت لزيارة الصالحين الذين بهراكش^(٢٣٣) نفعا الله ببركاتهم، وذلك عام ستة وثلاثين ومائة وألف. مررت بمشرع الرملة؛ الموضع المعروف، وفيه من الأخصاص^(٢٣٤) ما لا يحصىه إلا الله تعالى. فخرجنا من المحل الذي نزلنا فيه إثر صلاة الصبح في غيبش الظلام. وطلبوا منا أن نرجع عليهم. فلما رجعنا، وأردنا الوصول إلى المحل الذي كنا فيه، تحيرنا في معرفته. ولم يقدر أحد منا على^(٢٣٥) الوصول إليه لكثرة الأخصاص والعمارة به. فأشار إلينا بعض أصحابنا، أن ابعدوا الدابة الفلانية لدابة

(٢٣١) في م: شعيرا.

(٢٣٢) في م و ط: وشمالا.

(٢٣٣) إذا كان المؤلف يقصد زيارة الأحياء، فهذا لا غبار عليه؛ إذ يزار الإنسان لعلمه وصلاحه وديانته. وأما إذا كان يقصد الأموات؛ فهذه زيارة بدعية؛ لما ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة وأبي سعيد أنه قال: «لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا». وأما السفر إلى مجرد زيارة مقابر الأنبياء والصالحين ومشاهدتهم وآثارهم، فلم يستحبه أحد من أئمة المسلمين، لا الأئمة الأربعة ولا غيرهم.

(٢٣٤) مفرد الخَصْ؛ وهو بيت من شجر أو قصب. وقيل: الخَصْ، البيت الذي يسقف عليه بغشية على هيئة الأزج. والجمع أخصاص وأخصاص. وقيل في جمعه: خُصوص. سُمي بذلك لأنه يرى ما فيه من خصاصة أي فرجة.

(٢٣٥) في م: إلى.

معنا، واتبعوها فإنها تعقل على الموضع ولا تتخطاه. فقلنا له: كيف تعقل عليه، ونحن خرجنا منه في وقت الظلمة، ونحن آدميون عقلاء، وفيما العلماء والفقهاء، ولا يعقل أحد منا على ذلك الموضع، والبهيمة تعقله؟^{٢٣٦} هذا ما لا يكون!! فقال ذلك الصاحب: أطيعوني واتبعوها. ففعلنا.

فذهبت والله إلى ذلك المحل مسرعة، كأنها تعرفه منذ سنين عديدة، حتى وقفت عليه من غير زيغ ولا ريب ولا ميل، مع بعد المسافة التي قلدناها فيها. فأني تكرار وقع من هذه البهيمة حتى عرفت الطريق؟

ومنها! أني كنت ذات يوم جالساً، وإذا بفأر بالسقف الذي فوق رأسي. وهو يمشي على خشبة، يجيء ويذهب ويفرح بنفسه. وبإزائه هرة، فرمقته. وكان السقف عالياً جداً. فتركته حتى توسط الخشبة التي يلعب عليها، وبعد من الحائط المغرورة فيه، فصاحت به صيحة من قلبها ظن أنها معه. فوقع إلى الأرض صريعاً، فأكلته.

والحكايات في هذا الباب كثيرة، لا تسعها كراسة، فلنقتصر على هذا القدر، ففيه كفاية للطالب.

فقول ابن التلمساني رضي الله تعالى عنه: فلو قدر حمار أو حيوان عمره لم يضرب بخشبة، لم يفر من صوتها ألبتة، معارض بما سبق من الحكايات التي لا تكرار فيها ولا تجربة. وبمسألة الفأر هذه: فإنها قط لم تأكله هرة. وأظن أنه لم يرها قط ففر منها لما سمع صوتها. وذلك ظاهر. والله أعلم.

ثالثها: ما تعجب منه الفهري رضي الله تعالى عنه من إدراك البهائم قضايا كلية ولوآزمها، لا عجب فيه. فإنها تدرك ذلك، كما تدرك التماثل والتخالف. فإنها ترعى حشيشاً، ثم تنتقل إلى حشيش آخر، فتشمه ولا تأكله، ثم تنتقل إلى ثالث فتأكله. (فقد أدركت التماثل بين الثالث والأول، والتخالف بين الثاني والأول)^(٢٣٦). فقد أدركت أمراً عاماً، والجزئيات التي تندرج فيه، والتي لا تندرج.

بل سمعت حرسياً^(٢٣٧) يقول لحرس آخر: أسأل الله التوفيق، وأما الحلال والحرام فإن القط يعرفه. فقال له: كيف يعرف القط الحلال والحرام؟ فقال: تعطيه برضاك قطعة لحم، يأكلها بإزائك، ويختطف لك قطعة أخرى، فيفر، ولا يأكلها بإزائك. فالأولى

(٢٣٦) ساقط من: ب.

(٢٣٧) الحرسي: واحد حرسى السلطان: وهم الحُرَّاس. والمراد: الذين يرتبون لحفظه وحراسته.

حلال، والثانية حرام. ولذلك فَرَّ منك؛ لأن الحرام^(٢٣٨) ما فيه عقوبة.

وسمعت هائلا آخر يقول: إن البهائم تعرف قاعدة: إذا التقى ضرران ارتكبا^(٢٣٩) أخفهما. فقيل له: وكيف ذلك؟ فقال: الحمار يركبه الطفل الصغير، فيمتنع من المشي، ويحني رأسه للأرض، والصبي يضربه ضربا لا يؤلمه، فيصبر عليه؛ لأنّه أخف من ضرر مشيه به. وإذا ركبته كبير، وصاح به مشى؛ لأنّه يرى أن ضرر مشيه به أخف من ضرر ضربه المؤلم. فهو يرتكبا^(٢٤٠) أخف الضررين في البابين.

وقال السعد رحمه الله تعالى في «شرح المقاصد»^(٢٤١): ذهب جمهور الفلاسفة إلى أنّه ليست لغير الإنسان من الحيوانات نفوس مجردة مدركة للكلّيات. وبعضهم إلى الوقف على الإثبات والنفي... وذهب جمع من أهل النظر إلى ثبوت ذلك لها، تمسكا بالمعقول والمنقول.

أما المعقول؛ فهو أنا نشاهد منها أفعالا غريبة، تدل على أنّ لها إدراكات كلية، وتصورات عقلية؛ كالنحل في بناء بيوته^(٢٤٢) المسدسة، والانقياد لرئيسها^(٢٤٣). والنمل في إعداد الذخيرة. والإبل والخيول والبغال والحمير في الاهتداء إلى الطرق في الليالي المظلمة. والفيل في غرائب وأحوال^(٢٤٤) تشاهد منه. وكثير من الطير والحشرات في علاج أمراض تعرض لها. إلى غير ذلك من الحيل العجيبة التي يعجز عنها كثير من العقلاء.

وأما المنقول؛ فقولته تعالى: ﴿وَالطَّيْرُ صَفَّتْ كُلٌّ قَدْعِمَ صَلَاتَهُ وَتَسِيحَهُ﴾^(٢٤٥) [وقوله تعالى: ﴿وَأَرْحَى رَيْكَ إِلَى الْقَلَى﴾^(٢٤٦) الآية، وقوله تعالى: ﴿يَجْعَلُ أَرْوَى مَعَهُ وَالطَّيْرُ﴾^(٢٤٧)] وقوله تعالى

(٢٣٨) في ل: الحلال، وفي ط: فإن الحرام.

(٢٣٩) في ل: ارتكبت.

(٢٤٠) في ل: ترتكب.

(٢٤١) ٣/٢٥٢-٣٥٤.

(٢٤٢) في الأصل: بيوتها. والتصحيح من شرح المقاصد للتفتازاني ٣/٢٥٢.

(٢٤٣) في شرح المقاصد ٣/٣٥٢: لرئيس.

(٢٤٤) في شرح المقاصد (٣/٣٥٢): في غرائب أحوال.

(٢٤٥) من الآية ٤١ من النور.

(٢٤٦) من الآية ٦٨ من النحل.

(٢٤٧) من الآية ١٠ من سبأ.

(٢٤٨) ما بين المعقوفتين ساقط من م.

حكاية عن الهدهد: ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾^(٢٤٩) وحكاية عن النمل ﴿أَدْعُوا مَسْكَنَكُمْ﴾^(٢٥٠) الآية. انتهى.

وقال أبو بكر بن العربي^(٢٥١) رضى الله تعالى عنه: «ولا خلاف عند العلماء في أن الحيوانات كلها لها أفهام^(٢٥٢) وعقول. وقد قال الشافعي: الحمام أعقل الطير. وقد قال علماء الأصول: انظروا إلى النمل كيف تقسم كل حبة تدخرها نصفين، لثلاث ينبت الحب، إلا حب الكزبرة، فإنها تقسم الحبة منه بأربع: لأنها إذا قسمت بنصفين^(٢٥٣)، وإذا قسمت بأربع لم تنبت. وهذا من غوامض العلوم عندنا. وأدركته النمل بخلق الله تعالى ذلك لها.

قال: وقال الأستاذ أبو المظفر شاه بور الإسفرائيني^(٢٥٤): ولا يبعد أن تدرك البهائم حدوث العالم، وخلق المخلوقات، ووحدانية الإله، ولكننا^(٢٥٥) لا نفهم عنها ولا تفهم عنا. وقال الثعلبي: «قال كعب: صاح ورشان عند سليمان بن داود عليهما^(٢٥٦) السلام، فقال: أتدرون ما يقول؟ إنه يقول: لدوا^(٢٥٧) للموت، وابنوا للخراب. وصاحت فاختة عنده فقال: أتدرون ما تقول؟ إنها تقول: ليت (هذا)^(٢٥٨) الخلق لم يخلقوا. وصاح طاوس فقال: أتدرون ما يقول؟ (إنه يقول: كما تدين تدان. وصاح هدهد فقال: أتدرون ما يقول؟ إنه يقول)^(٢٥٩): من لا يرحم لا يُرحم. وصاح صرد^(٢٦٠) فقال: أتدرون ما يقول؟ إنه يقول: استغفروا الله يا مذنبين. فمن ثم نهى النبي صلى الله عليه وسلم

(٢٤٩) من الآية ٢٢ من النمل.

(٢٥٠) من الآية ١٨ من النمل.

(٢٥١) في أحكام القرآن ١٤٤٩/٢.

(٢٥٢) في م: إلهام.

(٢٥٣) في ل: نبتت.

(٢٥٤) هو العلامة المفتي، أبو المظفر طاهر بن محمد (شاهفور) الطوسي، الشافعي، صاحب التفسير الكبير. توفي بطوس سنة ٤٧١هـ.

مترجم له في: تبين كذب المفترى ص ٢٧٦، الطبقات الكبرى ١١/٥، سير أعلام النبلاء ٤٠١/١٨.

(٢٥٥) في م: ولكننا.

(٢٥٦) في ل و م: عليه السلام.

(٢٥٧) في ل: لادوا. وهو خطأ.

(٢٥٨) ساقط من ل و م.

(٢٥٩) ما بين المعقوفتين ساقط من م.

(٢٦٠) الصرد: طائر ضخم الرأس والمنقار، له ريش عظيم، نصفه أبيض ونصفه أسود.

عن قتله^(٢٦١). [وصاح خطاف فقال: أتدرون ما يقول؟ إنه يقول: قدموا خيرا تَجِدُوهُ. فمن ثمَّ نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتله]^(٢٦٢). وهدرت حمامة فقال: أتدرون ما تقول؟ إنها تقول: سبحان ربي الأعلى في سمائه وأرضه. قال: والغراب يدعو على العشار. والحدأة تقول: كل شيء هالك إلا وجهه. والقطاة تقول: من سكت^(٢٦٣) سلم. والبيغاء^(٢٦٤) تقول: ويل لمن كانت الدنيا همه^(٢٦٥). والضفدع يقول: سبحان ربي القدوس. والبازي يقول: سبحان ربي وبحمده^(٢٦٦). سبحان المذكور في كل مكان.

وقال مكحول: صاح دراج^(٢٦٧) عند سليمان، فقال: إنه يقول: الرحمن على العرش استوى. وقال الحسن: قال النبي صلى الله عليه وسلم: الديك إذا صاح يقول: اذكروا الله يا غافلين.

وقال الحسن بن علي: إذا صاح النسر قال: عش يا ابن آدم ما شئت آخرك الموت. وإذا صاح العقاب قال: في البعد من الناس البر^(٢٦٨). وإذا صاح الخطاف قرأ^(٢٦٩). ﴿الْعَنْدِقَةُ نَبِ الْفَتَنِ﴾، وتمد ﴿الْكَايَنَ﴾ كما يمدّها القارئ^(٢٧٠). فانظره عند قوله: ﴿عَلَيْنَا سَيْطُ الطَّيْرِ﴾^(٢٧١).

(٢٦١) يشير إلى حديث ابن عباس، قال: «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أربع من الدواب: النملة، والنحل، والهدهد، والصرور».

أخرجه أبو داود في كتاب الأدب - باب في قتل الذر. رقم (٥٢٦٧)، وابن ماجه في كتاب الصيد - باب ما ينهى عن قتله. رقم (٢٢٢٤).

(٢٦٢) ما بين المعقوفتين ساقط من م. واستدرك على الهامش في ب. هذا، ولم أقف على نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل الخطاف، رغم بحثي عنه.

(٢٦٣) في م: من سك.

(٢٦٤) في قصص الأنبياء للثعلبي ص ٢٦٢: والعنقاء.

(٢٦٥) في ب: همته.

(٢٦٦) في قصص الأنبياء ص ٢٦٢: والعصفور يقول.

(٢٦٧) في م و ل: درج.

(٢٦٨) في قصص الأنبياء ص ٢٦٢: أنس.

(٢٦٩) في م: قال.

(٢٧٠) قصص الأنبياء للثعلبي ٢٦١-٢٦٢.

(٢٧١) من الآية ١٦ من التمل. وفي هذا إشارة إلى أنه نقل من تفسيره. غير أن النص نفسه موجود في كتابه: قصص الأنبياء.

وقال^(٢٧١) عند قوله: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَبَتِ النَّمْلِ﴾ الآية: «ورأيت في بعض الكتب أن سليمان قال لها: لم حذرت النمل^(٢٧٢)؟ أخفت ظلمي؟ أما علمت أني نبي عدل؟ فلم قلت: لا يحطمنكم سليمان وجنوده؟ فقالت النملة: أما سمعت قولي: وهم لا يشعرون؟». انظر تمامه.

وقال صاحب «الدر المنثور»^(٢٧١): وأخرج ابن أبي شيبة^(٢٧٥)، وابن أبي حاتم^(٢٧٦) عن أبي الصديق الناجي^(٢٧٧) قال: «خرج سليمان بن داود يستسقي، فإذا هو بنملة مستلقية^(٢٧٨) على ظهرها، رافعة قوائمها إلى السماء؛ وهي تقول: اللهم إنا خلق من خلقك، لا غنى بنا^(٢٧٩) عن سقياك، وإلا تسقينا تهلكنا. فقال سليمان: ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم^(٢٨٠)».

وقال الطرطوشي في «سراج الملوك»^(٢٨١): «اختلفوا في القصاص الجاري بين البهائم يوم القيامة؛ كاختصاص الشاة الجماء من الشاة^(٢٨٢) القرناء^(٢٨٣)».

فذهب الشيخ الأشعري إلى أنه ليس على حقيقته. وإنما المقصود به المبالغة في

(٢٧٢) أي الثعلبي في قصص الأنبياء ص ٢٦٤.

(٢٧٣) ساقطة من ل.

(٢٧٤) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ٢٤٥/٦.

(٢٧٥) في المصنف في الأحاديث والآثار - كتاب الزهد - رقم (٢٤٢٦٢) ٩٣/٧.

(٢٧٦) في تفسيره ٢٨٥٨/٩.

(٢٧٧) بكر بن عمرو بن قيس، أبو الصديق الناجي، بصري ثقة. أخرج له أصحاب الكتب الستة.

روى عن بعض الصحابة. ولقه ابن معين وأبو زرعة والنسائي. وذكره ابن حبان في الثقات مات سنة ١٠٨ هـ.

انظر: الجرح والتعديل ٢/٣٩٠، تهذيب التهذيب ١/٤٨٦، التقريب ص ٦٦.

(٢٧٨) في ل: مستقبلة.

(٢٧٩) في م: لنا.

(٢٨٠) رواه أيضاً أبو نعيم في الحلية ١٠١/٣، وذكره ابن كثير في تفسيره ٢٤٧/٣.

(٢٨١) ج ٢ ص ٦٢٧-٦٢٩. (يتصرف).

(٢٨٢) ساقطة من ل.

(٢٨٣) يشير إلى حديث أبي هريرة عند مسلم: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لتؤذن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء».

كتاب البر والصلة - باب تحريم الظلم. رقم (٢٥٨٢).

والشاة الجلحاء: هي الشاة الجماء التي لا قرن لها.

إثبات القصاص بين ابن (٢٨٤) آدم.

وقال الأستاذ أبو إسحاق الإسفرائيني (٢٨٥): بل هو على حقيقته ويجري القصاص بينها (٢٨٦). ويحتمل أنها كانت تعقل هذا القدر في دار الدنيا. فلها جري (٢٨٧) بينها القصاص. ذكره في كتابه «الجامع» (٢٨٨) الجلي.

قال الطرطوشي: وكلام الأستاذ له وجه في الصحة؛ لأن البهيمة تعرف النفع والضّر. فتتفر (٢٨٩) من العصا وتقبل إلى العلف. انظر تمامه (٢٩٠).

فظهر من هذا، أن ما جزم به الفهري رحمه الله مشكوك فيه. وأن تعجبه في غير محله. وبقي في كلامه أبحاث آخر، وما ذكرناه كاف في التنبيه عليها. والله أعلم.

الثالث: أعلم أنني رأيت الأستاذ أبا بكر بن فورك رضي الله تعالى عنه في كتاب «مقالات الأشعري»، نقل عن الشيخ أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه أنه ذهب إلى أن (٢٩١) معرفة الله تعالى نظرية (٢٩٢). وهو بظاهره يخالف ما سبق لنا تصحيحه. ولكنه لم يبين مقدار المعرفة التي هي نظرية. وكم متعلقها؟ فإن المعرفة به تعالى؛ إما أن تتعلق بوجوده فقط. وهذه حقيقة الإيمان عند الشيخ أبي الحسن رضي الله تعالى عنه تبعاً للصالح (٢٩٣) كما سبق.

وإما أن تتعلق بوجوده تعالى وحياته وقدرته وإرادته وعلمه. وهذه هي مصححات الفعل؛ وهي التي تعلم ضرورة وبداهة من ضرورة دلالة الأثر كما سبق.

(٢٨٤) في ب : من بني آدم.

(٢٨٥) هو العالم في الفقه والأصول، إبراهيم بن محمد بن إبراهيم. صنف في علم الكلام، وأصول الفقه. وله مناظرات مع المعتزلة. مات في نيسابور سنة ٤١٨ هـ.
مترجم له في: التبصير في الدين ص ١١٩، وفيات الأعيان ٢٨/١، شذرات الذهب ٢٩/٣، الأعلام ٦١/١.

(٢٨٦) في م: بينهما.

(٢٨٧) في ل: أجري.

(٢٨٨) ساقطة من م.

(٢٨٩) في م: فتتفر.

(٢٩٠) أطلال الطرطوشي رحمه الله في مسألة جريان القصاص بين البهائم يوم القيامة. ونقل خلاف أهل العلم في المسألة، وصار إلى أنها تحشر وتعاد كما يعاد أهل التكليف من الأنمييين، ويجري القصاص بينها. وإذا لم تكن مكلفة فهي في المشيئة، يفعل الله بها ما أراد. راجع: سراج الملوك ٢/٦٢٧-٦٢٢.

(٢٩١) ساقطة من ل.

(٢٩٢) راجع: مجرد مقالات الأشعري لابن فورك ص ٢٥٠.

(٢٩٣) في ل: للصالح. وهو خطأ.

وإما أن تتعلق بما سبق، وبغيره من الصفات؛ كالوحدانية والمغفرة والرحمة وشدة العذاب، وسائر ما في القرآن من الأوامر الواردة بالعلم به، وبصفاته تعالى. وهذا هو الذي يقتضيه كلام الشيخ الأشعري رضي الله تعالى عنه أخيراً^(٢٩٤).

وحينئذ؛ فإن أراد الشيخ رضي الله تعالى عنه بالمعرفة التي هي نظرية، المعنى الأول، خالف جميع ما سبق. وخالف قوله تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾؛ فإن من المفسرين^(٢٩٥) من قدره^(٢٩٦): أفي إلهية الله شك؟ وهُم الجمهور، فيدخل الوجود أيضاً^(٢٩٧) بالضرورة. وقدَّره أبو علي الفارسي: أفي وحدانية الله شك؟ فيدخل الوجود أيضاً بالضرورة. قال ابن عطية^(٢٩٨) رحمه الله تعالى: قيل: حمله على ذلك الاعتزال؛ لأنه إن قدر الإلهية، دخلت القدرة والإرادة والعلم والحياة. وهم ينكرون المعاني. فلذا هرب إلى تقدير الوحدانية.

ويصح أن يقدر: أفي وجود الله شك؟^(٢٩٩) وهو المُتَبَادَرُ^(٣٠٠). وبإضافته إلى اسم الجلالة تدخل الألوهية التي قدرها الجمهور. فتقديرهم مندرج في هذا التقدير، مع زيادة التصريح بالوجود.

وإن أراد بالمعرفة التي هي نظرية، المعنى الثاني، خالف جميع ما سبق. وخالف الآية السابقة. كما لا يخفى على التقادير كلها.

وإن أراد المعنى الثالث (فهو مسلّم؛ إذ لا يدعي أحد أن معرفة الله تعالى بجميع صفاته التي يتوقف عليها الفعل، والتي لا يتوقف^(٣٠١) عليها ضرورة.

(٢٩٤) كل هذا تفسير للإيمان على قواعد المرجئة؛ لأن الإيمان عندهم مجرد قول بلا عمل.

(٢٩٥) انظر: تفسير ابن كثير ٥٠٦/٢.

(٢٩٦) في ب: قرره.

(٢٩٧) ساقطة من م و ط.

(٢٩٨) في المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٦٨/١٠.

(٢٩٩) وهو أحد الاحتمالين لقوله تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ أي أفي وجوده شك؟ فإن الفطر شاهدة بوجوده، ومجبولة على الإقرار به. فإن الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة. ولكن قد يعرض لبعضها شك واضطراب، فيحتاج إلى النظر في الدليل الموصول إلى وجوده. انظر: تفسير ابن كثير ٥٠/٢، ومجموع الفتاوى ٢٣٩/١٦.

والاحتمال الثاني: أفي إلهيته وتفرده بوجوب العبادة شك؟ كما تقدم في المتن.

(٤٠٠) والصحيح: أفي استحقاق الله وحده للعبادة شك؟ لأن هذا هو محل الخصوص.

(٤٠١) في ل: والتي يتوقف.

وعلى هذا المعنى [الثالث]^(٤٠٧)، يجب حمل كلام أبي الحسن رحمه الله تعالى.
وإن كان في بعض كلامه ما ينبو عن ذلك، ويقتضي أنه يخالف في الوجه الأول،
فإن ذلك في غاية البعد جدا.

ولننقل كلامه، ونشير إلى ما فيه، فنقول: «قال الأستاذ^(٤٠٢) رحمه الله تعالى: فمن
ذلك معرفة الله تعالى في الدنيا، فهي عنده مكتسبة، وليست بضرورة. وكان يقول: لو
كانت ضرورة لم يجز أن تخطر بالبال خواطر الشكوك، وأن تدعو الدواعي إلى خلافتها؛
لأن ما علمناه ضرورة؛ فذلك حكمه. فلما رأينا خواطر الشكوك في معرفة الله تعالى
قد تعترض النفوس، وتدعو إلى خلافتها الدواعي، علمنا أنها ليست بضرورة. كما أن
علم الإنسان بنفسه لما كان ضرورة لم يجز أن يدعوه داع إلى خلاف ذلك. ولم يجز أن
ترد عليه الشبه في وجوده، حتى يعتقد أنه ليس بموجود. ولما جاز أن يرجع الإنسان
عن^(٤٠٤) الإيمان بالله إلى الكفر، ويترك المعرفة بالله، «علمنا أنها ليست باضطرار»،
قلت: إذا لم يدخله شك في وجود نفسه لم يدخله (شك)^(٤٠٥) في حدوثه واقتقاره. وإذا
لم يدخله شك في حدوثه واقتقاره، لم يدخله شك في خالقه الفني سبحانه.
فهذه ثلاثة أمور كلها بديهية: علمه بوجوده، وعلمه باقتقاره، وعلمه بالذي يفتقر
إليه. ليس هي واحد منها نظر واستدلال.

وإن شئت^(٤٠٦) قلت: إن الافتقار نسبة بين منتسبين: مفتقر، ومفتقر إليه. وإذا كان
العلم بالنسبة بديهيًا، كان العلم بالأطراف كذلك. وأيضا إذا لم يدخله شك في وجوده،
لم يدخله شك في ترادف النعم عليه ظاهرا وباطنا، وإذا لم يدخله شك في النعم، فلا
يدخله شك في المنعم سبحانه. فهي ثلاثة أمور كلها بديهية: علمه بوجوده، [وعلمه
بالنعم]^(٤٠٧)، وعلمه بالمنعم سبحانه. وإن شئت أن تقول: علمه بالإنعام عليه بديهي،
فيكون العلم بالمنعم عليه، وبالنعم بديهيًا بما سبق.

(٤٠٢) ساقط في ط.

(٤٠٣) أي ابن فورك في مجرد مقالات الأشعري ص ٢٤٨.

(٤٠٤) هي ل: على.

(٤٠٥) ساقط من ل و م و ط.

(٤٠٦) ساقطة من م.

(٤٠٧) ساقط من: ل و م، وفي ط: وعلمه بترادف النعم عليه.

قال جعفر الصادق رضوان الله عليه: فالعجب من مخلوق يزعم أن الله يخفى على عباده. وهو يرى أثر الصنع في نفسه، بتركيب يبهر عقله، وتأليف يبطل جحوده^(٤٠٨). انتهى.

وبالجملة: فمحرك القلب إلى الرب سبحانه، جنديان يأتيان من عند الرب سبحانه، لا انقطاع لهما أبد الأبدين:

أحدهما: جند النعم. وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَ وَبَاطِنًا﴾^(٤٠٩) وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَكُم مِّن تَعْمَرٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾^(٤١٠).

وثانيهما: جند النقم^(٤١١). وهو الجند الذاتي الذي مبداه نقص العبد وعجزه وضعفه، وإمكانه وحدوثه واحتقاره واحتقاره، فحاجته إلى ربه تعالى ذاتية. أوجبها حدوثه الذاتي (أو إمكانه الذاتي)^(٤١٢) على الخلاف. وما بالذات لا يتخلف ولا يختلف.

ثم قال الأستاذ^(٤١٣) رضي الله عنه: «وكان يقول أيضاً: لو كانت المعرفة بالله ضرورة، لكان الناس جميعاً مضطرين إليها. ولو جاز لدع أن يدعي ذلك، لجاز لدع أن يدعي أنهم مضطرون إلى العلم بالنبي صلى الله عليه وسلم وبصدقه»^(٤١٤).

قلت: هذا قياس مع وجود الفارق^(٤١٥). فإن الرسول صلى الله عليه وسلم ليس

(٤٠٨) يقصد رحمه الله هنا الاستدلال على معرفة الخالق جل وعلا بطريق النظر في المخلوقات، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿رَبِّكَ أَفْهَمُ أَفَلَا تُبْهَرُونَ﴾ (الذاريات: ٢١) وفي بيان هذا الطريق يقول الراغب الإصفهاني: «جعل - أي الله تعالى - لكل إنسان من بدنه ونفسه عالماً صغيراً، أوجد فيه مثال كل ما هو موجود في العالم الكبير، ليجري ذلك من العالم مجرى مختصر من الكتاب البسيط، يكون مع كل أحد نسخة يتأملها في الحضر والسفر، والليل والنهار، فإن نشط وتفرغ للتوسع في العلم نظر في الكتاب الكبير الذي هو العالم، فيطلع منه على الكون ليفزر علمه، ويتسع فهمه، وإلا فليقتنع بالمختصر الذي معه، ولهذا قال تعالى: ﴿رَبِّكَ أَفْهَمُ أَفَلَا تُبْهَرُونَ﴾». كتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة ص ٢٠٢.

(٤٠٩) من الآية ٢٠ من سورة لقمان.

(٤١٠) من الآية ٥٢ من النحل.

(٤١١) في م: جند المنعم. ولا معنى له.

(٤١٢) ساقط من ل و م.

(٤١٣) أي ابن فورق في مجرد مقالات الأشعري ص ٢٤٨.

(٤١٤) في ل: وتصديقه.

(٤١٥) في م: المفارق.

بخالق ولا رازق، (والرب سبحانه خالق ورازق)^(١١٦). فلا يلزم من كون معرفة الرب سبحانه ضرورية، أن تكون معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم كذلك. والله أعلم.

ثم قال الأستاذ^(١١٧) رحمه الله: «وكان يقول أيضاً: لو كان الناس جميعاً مضطرين إلى المعرفة بالله... لجاز لآخر أن يدعي أنهم مضطرون إلى علم الحق كله».

قلت: هو نظير قول القائل: لو كانت بعض العلوم ضرورية، لكان جميع العلوم ضرورياً. ولا خفاء في بطلان اللزوم هنا وهناك. والله أعلم.

ثم قال الأستاذ^(١١٨) رحمه الله: «وكان يقول أيضاً: لو كانت معرفته تعالى ضرورية، لم تكتسب بالدليل».

قلت: الضروري قد ينبه عليه، كما يقول: الأربعة زوج؛ لأنها تنقسم بمتساويين. وكل منقسم بذلك زوج. فالعلوم التي في هذه القضايا كلها بديهية.

ثم قال الأستاذ^(١١٩) رضي الله تعالى عنه: «وكان أيضاً يقول: إن معرفة الله تعالى مأمور بها... ألا ترى أن الله تعالى أمر الخلق جميعاً بتقواه، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾^(١٢٠). والتقوى إنما هي العلم بقدره المتقى على ما يقدر عليه أن يفعل به من الضرر والعذاب الأليم. وكذلك قال: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾^(١٢١). وهذا^(١٢٢) أمر بالعلم به نصاً. وقال: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(١٢٣) ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١٢٤). وسائر ما في القرآن من الأوامر الواردة في العلم^(١٢٥) به وبصفاته. وإذا كان ذلك كذلك دل أنها اكتساب؛ لأن الأمر لا يتعلق بنوع من الضرورة، ولا الذم على تركه، ولا المدح على فعله».

(١١٦) ساقط من ل و م.

(١١٧) أي ابن فورك في مجرد مقالات الأشعري ص ٢٤٩.

(١١٨) المرجع السابق (بتصرف).

(١١٩) نفسه ص ٢٤٩.

(١٢٠) من الآية ١ من الحج.

(١٢١) في م: هو.

(١٢٢) من الآية ١٩ من سورة محمد صلى الله عليه وسلم.

(١٢٣) في م: وهو.

(١٢٤) من الآية ١٩٦ من البقرة. والآية ٢٥ من سورة الأنفال.

(١٢٥) من الآية ٣٦ من سورة المائدة.

(١٢٦) في ر و م: بالعلم.

قلت: هذه المعرفة هنا هي بالمعنى الثالث. ولا نزاع في أنها نظرية. فلا حجة فيما قاله رضي الله تعالى عنه.

وقد اختصرنا الكلام جدا في تتبع فصول هذا الكلام مخافة الطول. والله أعلم.

الرابع: قال الطرطوشي رضي الله تعالى عنه، ونفعنا به، في «سراج الملوك» ما نصه: «فإن قيل: فَأَيُّ العلمين^(١٢٧) أقوى في النفس، وأثبت في العقل؟ هل العلم بالنجار عند النظر في السرير، واقتضائه للنجار. أو العلم بالله سبحانه عند النظر في السماوات (والأرض)^(١٢٨) وما بينهما؟ فالجواب أن هذا يستدعي تفصيلا وتدقيقا، وليس هذا الكتاب موضوعا له»^(١٢٩).

قلت: التفصيل المشار إليه - والله أعلم - هو أن العلم بالنجار فيه قوة، لكن لا من جهة دلالة الأثر، ولكن من جهة انضمام المشاهدة العيانية إلى الدلالة المذكورة. فإن النجار مشاهد؛ شخصه أو نوعه. فصار للعلم بالنجار طريقان: طريق المشاهدة العيانية. وطريق دلالة الأثر.

وأما العلم بالحق سبحانه عند النظر في السماوات والأرض وما بينهما فهو أقوى وأقوى وأقوى. فإن آثار الصنع، وإتقان الفعل المشاهد في هذا العالم، مما تحار فيه العقول والأفهام، ولا تفي بتفاصيلها الدفاتر والأقلام. وفي علم النبات وأسراره، وعلم الحيوان وأسراره، وعلم تشريح الإنسان وأسراره، أقوى شاهد على ذلك. مع أن الإنسان لم يؤت من العلم إلا قليلا. ولم يجد إلى^(١٣٠) معرفة كنه الأشياء سبيلا.

قال جعفر الصادق رضوان الله عليه: إن الله تعالى خلق الحواس، وجعل لها قلبا، واحتج به على العباد، ثم جعل الحواس دلالات على الظاهر الذي يستدل (به) العقل على الرب سبحانه الخالق، فنظرت العين إلى خلق^(١٣١) مختلف متصل^(١٣٢)

(١٢٧) في النسخ: فأَيُّ العالمين، والصواب من ط وسراج الملوك ٢٧٤/١.

(١٢٨) ساقط من ل و م.

(١٢٩) سراج الملوك ٢٧٤/١-٢٧٥.

(١٣٠) في ل: إلا. وهو خطأ.

(١٣١) ساقط من ل و م و ط.

(١٣٢) في ل: إلى قلب.

(١٣٣) في ل و م: متصف.

بعضه ببعض، فدلها القلب على أن لذلك خالفاً. وذلك أنه فُكِّر؛ حيث دلته العين على ما عاينت من عظم السماء، وارتفاعها في الهواء بغير عَمَدٍ يُرى، ولا دعائم يمسكها، وأنها لا تتأخر هتكشط، ولا تتقدم فتزول، ولا تهبط مرة فتدنو، ولا ترتفع فتغيب، ولا تتغير بطول الأمد، ولا اختلاف الليل والنهار، ولا تتداعى منها ناحية، ولا ينهدم منها طرف... إلى أن قال: ثمَّ نظرت العين إلى ما هو^(٤٣١) أسفل منها من الأرض، فدلها القلب على أن لها خالفاً. وذلك أن القلب فكر؛ حيث دلته العين على ما عاينت من ثبوت الأرض الممسكة أن تزول، أو يَهْوِي منها شيء، وأنت ترى الريشة يهوي بها فتسقط، وهي في الخفة على ما هي عليه. وترى الأرض في الثقل على ما هي عليه، لا تسقط ولا تزول، فعرف القلب أن لها مدبراً ممسكاً. ولولا ذلك لانخسفت بما عليها من ثقلها، وثقل الجبال والآكام، والشجر، والبحور، والرمال. ثمَّ تكلم على غريب الصنع؛ الذي في الرياح المسخرة، والزلازل، والسحاب المسخر، واختلاف الليل والنهار. وأتى في ذلك بالعجب العجيب. ولم تثبت^(٤٣٢) ذلك مخافة الطول.

ويصح أن يكون المراد بالتفصيل الذي أشار إليه الطرطوشي رحمه الله تعالى؛ هو أن العلم - من حيث إنه علم ويقين وجزم - لا يتفاوت، ولا يكون بعضه أقوى من بعض. ومن حيث متعلقاته^(٤٣٣) وكثرتها وقتلتها يتفاوت، ويكون بعضه أقوى من بعض.

فإن هذا هو مذهب المحققين. وعليه يتفرع عدم زيادة الإيمان ونقصانه^(٤٣٤) (من حيث إنه إيمان، خلافاً لمن قال: إن العلم يتفاوت من حيث إنه علم. وعليه يتفرع زيادة الإيمان ونقصانه)^(٤٣٥). وحينئذ فالعلم بالنجار، والعلم بالحق سبحانه من حيث

(٤٣٤) في م إلى من هو.

(٤٣٥) في ل ولم يثبت.

(٤٣٦) في م متعلقاتها.

(٤٣٧) إذا كان الإيمان شيئاً واحداً كما قالت المرجئة، ووافقهم على ذلك الأشاعرة، فإنه لا يزيد ولا ينقص. وهذا من أعظم أصولهم التي خالفوا فيها القرآن والسنة وإجماع الصحابة. وهو مشترك بينهم وبين الخوارج، وإن كان الخوارج يقولون: إن الإيمان شيء واحد، إذا زال جزؤه زال كله، ولهذا كفروا بالكبيرة. والمرجئة أخرجوا الأعمال عن مسمى الإيمان. وقالوا: إن الإيمان شيء واحد، إذا زال جزؤه زال كله، وهذا لا يتصور إلا بمثل الأمور الثلاثة التي ذكرها المؤلف في أول البحث. وهذا تفسير إخراجهم الأعمال عن مسمى الإيمان، حتَّى لا يلزمهم من زوال جزئه زوال كله.

(٤٣٨) ما بين المعقوفتين ساقط من م.

إنَّه علم؛ لا يتفاوت يقينه وجزمه. ومن حيث الخارج، وكثرة الدلالات يتفاوت. فللعلم بالنجار دليان، وللعلم بالحق سبحانه آلاف آلاف من الأدلة الصنعية. والله أعلم.

الخامس: ذكر الفخر رحمه الله في «التفسير الكبير»^(٤٣٩)، والشهرستاني في «الملل والنحل»^(٤٤٠) ما معناه: أنَّه ليس أحد في العالم يثبت لله شريكا، يساويه في الوجود والقدرة والعلم والحكمة. فهذا (ما)^(٤٤١) لم يوجد إلى الآن. وإنما قصد سائر الكفرة بعبادتهم غير الله تعالى؛ التقرب إلى الله تعالى^(٤٤٢). واختلفوا لاختلاف أهوائهم في الشيء الذي يقع به التقرب على ثلاثة أصناف: أصحاب الروحانية، وأصحاب الهياكل، وأصحاب الأشخاص.

وهذه الأصناف الثلاثة؛ هي أصناف الصابئة^(٤٤٣). وتبعهم سائر أمم الكفرة. ومذهب الصابئة بأسرها؛ أن للعالم صانعا فاطرا حكيما مدبرا مقدسا عن^(٤٤٤)

(٤٣٩) لم أهتم إلى محله في التفسير الكبير.

(٤٤٠) ص ٥١٥-٥١٦ (ط. دار الفكر، بيروت).

(٤٤١) ساقط من ل و م.

(٤٤٢) قال ابن كثير في تفسير قول الله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿قَالَ رُشْدُهُ إِلَى اللَّهِ سَلَامٌ﴾: «فإن غالب الأمم كانت مقرة بالصانع، ولكن تبدد معه غيره من الوسائط التي يظنونها تنفعهم، أو تقربهم من الله زلفى». تفسير ابن كثير ٥٠٦/٢.

(٤٤٣) الصابئة: مأخوذة لغة من: صبأ الرجل: إذا مال وزاغ. والصابئ: من خرج ومال من دين إلى دين. ولهذا كانت العرب تقول لمن أسلم قد صبا.

فبحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق، وزيفهم عن نهج الأنبياء. قيل لهم: الصابئة. وقد اختلف فيهم. فمن السدي: أنهم فرقة من أهل الكتاب. وعن مجاهد وغيره: هم قوم تركب دينهم بين اليهود والمجوس. وعن الحسن وقتادة: هم قوم يعبدون الملائكة، ويصلون إلى القبلة، ويقرؤون الزبور. وقيل: إنهم قوم كانوا على دين نوح.

قال القرطبي: «والذي تحصل من مذهبهم - فيما ذكره بعض علماؤنا - أنهم موحدون، معتقدون تأثير النجوم، وأنها فعالة. ولهذا أفتى أبو سعيد الإصطخري القادر بالله يكفرهم حين سأله عنهم».

واستظهر الحافظ ابن كثير أنهم قوم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا المشركين. وإنما هم قوم ياقون على فطرتهم، ولا دين مقرر لهم يتبعونه ويقتفونه. ولهذا كان المشركون يَنْبُزُون من أسلم بالصابئ. أي أنه قد خرج عن سائر أديان أهل الأرض إذ ذاك.

راجع: الملل والنحل ص ٢٥٩، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥١، تفسير غريب القرآن للرازي ص ٨٩، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٢٤/١-٤٣٥، تفسير ابن كثير ٩٩/١-١٠٠.

(٤٤٤) في ل: على.

سمات الحدوث. قالوا: فالواجب^(٤٤٥) عليهم معرفة العجز عن الوصول إلى جلاله. وإنما يتوصل إليه بواسطة.

فقال أصحاب الروحانيات^(٤٤٦): أولى الوسائط وأقربها وأفضلها هم الروحانيات، وهم الملائكة؛ لأنهم قُطِّروا على العصمة من المخالفة، وقُطِّروا على امتثال الأمر واجتناب المنهي عنه^(٤٤٧). فلا أقرب منهم إلى صانع العالم بزعمهم. فهم يتقربون إليهم، ويتكلمون^(٤٤٨) عليهم. وهم أربابهم وآلهتهم وشفعائهم عند رب الأرباب، وإله الآلهة، في خرافات لهم طويلة.

وقال أصحاب الهياكل^(٤٤٩): (إن الروحانيات لا تشاهد ولا تُرى. والمتوسط لا بد أن يُرى. فاتخذوا الهياكل^(٤٥٠)؛ وهي الهياكل السبعة السيّارة، وجعلوها بمثابة الأجساد للروحانيات، والروحانيات بمثابة الروح لها. قالوا: والمتقرب إلى جسدٍ متقربٌ إلى روحه. فيحصل المراد من المتوسط. وجعلوا هيكل زُحَل مسدسا، وهيكل المشتري مثلثا، وهيكل المريخ مستطيلا، وهيكل الشمس مربعا، وهيكل الزهرة مثلثا في وسطه مربع، وهيكل عطارد مثلثا في وسطه مستطيل، وهيكل القمر مثمنا. ثم اتخذوا لها الخواتم

(٤٤٥) في ل و م فالجواب.

(٤٤٦) في القاموس: الروح (بالضم): ما به حياة الأنفس، والقرآن، والوحي، وجبريل وعيسى عليهما السلام، وحكم الله وأمره، والملك.. (وبالفتح): الراحة والرحمة. (وبالتحريك): السمة. والروحاني (بالضم): ما فيه الروح، وكذلك النسبة إلى الملك والجن. جمعه روحانيون. وأصحاب الروحانيات: فرقة من الصابئة. أثبتوا متوسطات روحانية، يأتونهم بالرسالة من عند الله من غير كتاب. فيأمرهم بأشياء، وينهاهم عن أشياء، ويسن لهم الشرائع، ويبين لهم الحدود. راجع: الملل والنحل ص ٢٦٠ وما بعدها.

(٤٤٧) في ل و م: النهي.

(٤٤٨) في ل و م: يتوكلون.

(٤٤٩) وهم فرقة من الصابئة. والمراد بهم: عبدة الكواكب: حيث قالوا بإلهيتها، إيماننا منهم بأن الإنسان لا يُدَّ له من متوسط يُرى، ويتوجه إليه. ومن ثم فزِعوا إلى الكواكب التي هي السيارات السبع، وفي تقريهم إلى الهياكل تقرب إلى الروحانيات. وفي التقرب إلى الروحانيات تقرب إلى الباري تعالى.

هكذا يعتقدون. فالهياكل أبدان الروحانيات. ونسبتهم إلى الروحانيات نسبة أجسادنا إلى

أرواحنا. راجع: الملل والنحل ص ٣٠٣-٣٠٤.

(٤٥٠) ما بين المعقوفتين ساقط من ب.

المعمولة على صُورها، ولبسوا اللباس الخاص به، (وبغروا بالبخور الخاص به)^(٤٥١) ودعوا بدعائه الخاص به، إلى آخر خرافاتهم السحرية.

وقال أصحاب الأشخاص^(٤٥٢) - وهي الأصنام -: الهياكل النجومية تغيب بالنهار. والمتوسط ينبغي ألا يغيب. فاتخذوا أصناما آلهة، تكون معهم، لا تغيب عنهم، على صور هياكل السيارة السبعة. وراعوا في ذلك جوهر الهيكل؛ أعني الجوهر الخاص به من الحديد وغيره. وصوروه بصورته على الهيئة المناسبة لصدور الفعل عنه. ورعوا في ذلك الزمان والوقت والساعة والدرجة والدقيقة وجميع الإضافات النجومية. ورعوا أيضاً في تقريبهم إليه، ما يخصه في^(٤٥٣) اليوم والساعة والنجوم والخواتم واللباس والدعاء والعزيمة لينجح مطلبهم بزعمهم.

وقد ناظر الخليل عليه الصلاة والسلام هذين الفريقين. فنأظر أصحاب الأشخاص؛ حيث قال: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَدْعُونَ ۖ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾^(٤٥٤). ولما كان أبوه أزر هو أعلم القوم بعمل الأصنام، ورعاية الإضافات^(٤٥٥) النجومية فيها، ولهذا يشترون الأصنام منه ولا يشترونها من غيره؛ أكثر إبراهيم عليه السلام من مناظرته. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ مَا زَرَّكَ أَنْتَ تَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّي أَرَاكَ وَأَكْفُوكَ فِي شَكْلٍ مُبِينٍ﴾^(٤٥٦) ﴿يَتَابَعُ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾^(٤٥٧) الآيات.

ونأظر أصحاب الهياكل؛ حيث قال: ﴿فَلَمَّا أَتَى قَالَ لَا أُجِبُ الْآفِلِينَ﴾^(٤٥٨) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا

(٤٥١) ما بين المعقوفتين ساقط من ل و م.

(٤٥٢) وهم عبدة الأوثان. اتخذوا أصناما أشخاصا، فسموها آلهة في مقابلة الهياكل السبعة، وقالوا: ﴿هَؤُلَاءِ شُعْمَتُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من الآية ١٨ من سورة يونس.

ودعاهم إلى ذلك أن الهياكل السبعة تتعرض للطلوع والأفول، والظهور والخفاء، فلا بد من صور وأشخاص موجودة، قائمة، منصوبة أمام أعينهم، يكفون عليها، ويتوسلون بها إلى الهياكل، ثم الروحانيات، ثم الباري تعالى: ﴿لِيَقْرَبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ من الآية ٣ من الزمر.

راجع: الملل والنحل ص ٣٠٤-٣٠٥.

(٤٥٣) في م و ب: من اليوم.

(٤٥٤) الصافات: ٩٥-٩٦.

(٤٥٥) في ل و م: الإضافة.

(٤٥٦) الأنعام: ٧٤.

(٤٥٧) مريم: ٤٢.

قَالَ هَذَا رَبِّي ^(٤٥٨) فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى النَّاسَ بَارِزَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُغْوِمُنِي إِلَىٰ بَرٍّ أَوْ سَمَوَاتٍ فَأَنَّى اتَّسِرُّنَّ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾، [فهؤلاء هم فرق الصابئة] ^(٤٦٠).
وأما المجوس؛ وهم أصحاب الإثنية ^(٤٦١) والمناوية ^(٤٦٢) وسائر فرقهم المجوسية، فهم من الحنفاء ^(٤٦٣).

(٤٥٨) قوله تعالى إخباراً عن إبراهيم: (هذا ربي) إمّا أن يراد به استدراج القوم، وتمريفهم خطاهم وجهلهم في تعظيم ما عظموه، فأراهم النقص الداخل على النجوم التي يعظمونها ويعبدونها، ليثبت خطأ ما يدعون. أو أنه قال ذلك على وجه الاستفهام الإنكاري، تقديره: أهذا الذي تدعون أنه ربي؟ فلما غاب قال: لو كان إلها لما غاب.
وليس المراد أنه عبد هذه الأجرام الثلاثة؛ لأن هذا لا يليق بمنصب النبوة. وكيف يجوز ذلك في إبراهيم، وهو الذي قال الله في حقه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾ ﴿١﴾ الآيات، أي أنه اتاه رشده وهداه من قبل البلوغ؛ أي من صفه ألهمه الحق والحجة على قومه كما قال تعالى: ﴿وَبِذَلِكَ حُجِّتْ أُمَّتُهُ أُمَّتُهَا يُؤْمِنُونَ عَلَىٰ قَوْلِهِ﴾. راجع: تفسير ابن كثير ١٤٣/٢-١٤٤، تفسير البغوي ١٦١/٣-١٦٢.

(٤٥٩) الأنعام: ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩.

(٤٦٠) ما بين المقوقتين ساقط من ل و م.

(٤٦١) الثنوية أو الثوية من المجوس؛ أثبتوا أصليين اثنين، مدبرين قديمين، يقتسمان الخير والشر، والنفع والضرر، والصلاح والفساد. يسمون أحدهما النور، والآخر الظلمة. وبالفارسية: «يزدان» و«أهرمن». وأما المناوية - وهو من الثوية - أصحاب ماني بن هاتك الحكيم؛ الذي أحدث دينا بين المجوسية والنصرانية. ومذهبه أن مبدأ العالم كونان: أحدهما: نور. والآخر: ظلمة. وكان يقول بنبوة المسيح دون موسى عليه السلام.

ومسائل المجوس كلها تدور على قاعدتين اثنتين:

إحداهما: بيان سبب امتزاج النور بالظلمة.

والثانية: بيان سبب خلاص النور من الظلمة. وجعلوا الامتزاج مبدأ، والخلاص معاداً.

انظر: الملل والنحل ص ٢٤٥-٢٥٦، درء تعارض العقل والنقل ١٩٥/٦، ٣٤٦/٩.

(٤٦٢) في ل و م: والمناوية، وهو خطأ.

(٤٦٣) أصل الحنف: الاعوجاج والانحراف في الرجل، وهو أن تقبل إحدى إبهامي رجله على الأخرى. حنف عن الشيء وتحنف: مال. والحنيف: المسلم الذي يتحنف عن الأديان: أي يميل إلى الحق. قال أبو عبيدة في قوله عز وجل: ﴿عَلَّ بِرَبِّهِ إِزْمِرَ حَنِيفًا﴾: من كان على دين إبراهيم. فهو حنيف عند العرب. وكان عبدة الأوثان في الجاهلية يقولون: نحن حنفاء على دين إبراهيم، فلما جاء الإسلام سموا المسلم حنيفاً. والدين الحنيف: الإسلام. والحنيفية: ملة الإسلام. والحنفاء: جمع حنيف، وهو المائل إلى الإسلام، الثابت عليه.

وكان الناس في زمان إبراهيم عليه السلام على صنفين: حنفاء، وصابئة.
والمجوس من الحنفاء. وهم من أهل الملل لا من أهل النحل؛ لأنه كان لهم كتاب ثم
رفع.

والصابئة من أهل النحل والأهواء، لا من أهل الملل والشرائع. ولهذا كان يسن
بالمجوس سنة أهل الكتاب في قبول الجزية^(١٦٦).

وانظر ابن حجر في شرح البخاري^(١٦٥)، فقد أطل في كونهم أهل كتاب ثم رفع.
قال الشهرستاني^(١٦٦)؛ ثم انقسموا إلى فرق عديدة؛ فمنهم الكيومرثية والزروانية
والزردشتية^(١٦٧) والمانيوية والمزدكية^(١٦٨) والديصانية وغيرهم من الفرق. وأطل في ذكر
معتقداتهم، مع اتفاق الجميع على أن للعالم صانعا^(١٦٩).

وأما أهل الهند؛ فمنهم من كان على دين المجوس، يؤمن بإبراهيم عليه السلام، وقد
سبق الكلام على المجوس.

ومنهم البراهمة^(١٧٠)؛ الذين ينكرون النبوة رأسا، ويحولونها عقلا. فهم - لعنهم الله
- وإن ارتكبوا هذه الورطة، قائلون بأن للعالم صانعا حكيما مدبرا لطيفا خبيرا، وأنه
أنعم على عباده نعمًا توجب عليهم شكره.

(٤٦٤) يشير إلى حديث عمر بن الخطاب حين ذكر المجوس، فقال: ما أدري كيف أصنع في أمرهم.
فقال عبدالرحمن بن عوف: أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «سُنُوا بِهِمْ
سنة أهل الكتاب».

أخرجه البخاري في كتاب الجزية والموادعة - باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب
رقم (٢١٥٦) - فتح الباري ٦/٢٩٧، ومالك في الموطأ في كتاب الزكاة - باب جزية أهل الكتاب
والمجوس رقم (٤٢)، والترمذي في كتاب السير - باب ما جاء في أخذ الجزية من المجوس
رقم (١٥٨٦) (١٥٨٧)، وأبو داود في كتاب الخراج - باب في أخذ الجزية من المجوس رقم
(٣٠٤٣).

(٤٦٥) فتح الباري ٦/٣٠٢.

(٤٦٦) في كتابه: الملل والنحل ص ٢٤٣ وما بعدها.

(٤٦٧) في م؛ والزراحتية. وهو خطأ.

(٤٦٨) في الأصل: والمزكية، وهو خطأ.

(٤٦٩) راجع الملل والنحل ص ٢٢٤ وما بعدها.

(٤٧٠) وهم طائفة هندية تنتسب إلى رجل منهم يقال له: بَرَاهِم. فهو الذي مهد لهم نفي النبوات
أصلاً، وقرر استحالة ذلك في العقول. ولذلك، فهم يقولون بالتوحيد، وينكرون النبوات.
وللبراهمة علامة تميزهم؛ وهي خيوط ملونة بجمرة وصفرة يتقلدون بها السيوف.

راجع: الفصل في الملل والنحل ١/١٣٧، الملل والنحل ص ٥٠٦-٥٠٧.

ومنهم^(٤٧١) أصحاب البِدَّة^(٤٧٢)؛ والبِدَّة^(٤٧٣) شخص في هذا العالم لا يولد ولا ينكح، ولا يأكل ولا يشرب، ولا يهرم ولا يموت. والبِدَّة عندهم على عدد الهياكل، أثبتوها واسطة بينهم وبين صانع العالم.

ومنهم أصحاب الفكرة؛ وهم أهل العلم بالفلك والنجوم والأحكام المنسوبة إليهما. وهم يعظمون أمر الفكر، ويزعمون أنه هو المتوسط بينهم وبين صانع العالم. ولهم في ذلك حكايات غريبة [وأمر غريبة]^(٤٧٤) يطول بنا^(٤٧٥) ذكرها.

ومنهم من هو على مذهب الصابئة، في عبادة الملائكة والكواكب والأصنام، وقد سبق بيان ذلك.

وأما العرب^(٤٧٦)؛ فأكثرتهم على عبادة الأصنام. ومنهم من يتقرب إلى الملائكة. وقد أشار القرآن العزيز إلى الرد عليهم في غير آية. ومنهم من يتقرب إلى النجوم. وكانوا يعبدون الشَّعْرَى. قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ مُوَرَّبٌ إِلَيْهِمْ﴾^(٤٧٧).

وأما الفلاسفة^(٤٧٨)؛ وهم الحكماء. والفلسفة محبة الحكمة؛ لأن «فيلا» هو المحب، و«سوبا» هو الحكمة. فقد كانوا في الروم، وفي الهند، وفي العرب أيضاً. إلا أن حكماء العرب شرذمة قليلة؛ لأن أكثر حكمهم فلتات الطبع، وخطرات الفكر. والأصل في الحكمة للروم. وغيرهم عيال عليهم. وكلهم متفقون على أن للعالم صانعاً مدبراً حكيماً. وبقي اليهود والنصارى^(٤٧٩)، وهم مقرّون بأن للعالم صانعاً أيضاً. فهؤلاء هم أمم العالم، وأصناف بني آدم، وهم متفقون على الاعتراف بالحق سبحانه لا إله إلا هو.

(٤٧١) أي من البراهمة.

(٤٧٢) حرفت في الأصل إلى البر. والمثبت من الملل والنحل ص ٥٠٨.

(٤٧٣) ومعنى (البِدَّة): السيد الشريف.

(٤٧٤) ما بين المعقوحتين ساقط من ل و م.

(٤٧٥) ساقط من م.

(٤٧٦) راجع ما كانوا عليه من عبادة الأوثان والنجوم، وما تمسكوا به من شبهات في الملل والنحل ص ٤٧٨ وما بعدها.

(٤٧٧) النجم: ٤٩.

(٤٧٨) راجع في شأنهم: الملل والنحل ص ٣١٢ وما بعدها.

(٤٧٩) راجع ما يتعلق بهؤلاء في الملل والنحل ص ٢١٠ وما بعدها.

وأما الطائفة المعطلة: فظاهر كلام الشهرستاني^(٤٨٠) ثلاث فرق: معطلة الفلاسفة، ومعطلة الهنود، ومعطلة العرب. واستدل بأية الدهر التي سبق الكلام عليها إشكالا وجوابا.

وقال صاحب «تلخيص المحصل»^(٤٨١): «إن المعطلة - وهم الملاحدة - يقولون إنه تعالى موجود واحد، لكن لا بمعنى أنه متصف بالوجود والوحدة، بل من حيث إنه تعالى يعطي الوجود^(٤٨٢) ويعطي الوحدة. وقالوا إن العقل لا يصل إليه؛ لأنه مبدأ العقل. فلا يتصف بوجود ولا عدم، ولا كثرة ولا وحدة. وبالفوا في هذا التنزيه. ومن التنزيه عن التنزيه»^(٤٨٣).

وقال السعد رحمه الله تعالى في «شرح المقاصد»^(٤٨٤): «وخالفت الملاحدة في وجود الصانع؛ لا بمعنى أنه لا صانع للعالم، ولا بمعنى أنه ليس بموجود ولا معدوم بلا واسطة^(٤٨٥)، بل بمعنى أنه مبدأ^(٤٨٦) لجميع المتقابلات؛ من الوجود والعدم، والوحدة والكثرة، والوجوب والإمكان. فهو متعال^(٤٨٧) عن أن يتصف بشيء منها. فلا يقال له موجود، ولا واجد، ولا واجب، مبالغة في التنزيه. ولا خفاء في أنه هذان بين البطلان».

وهذا هو الصواب عندي في المعطلة. وأنهم عطلوا الذات العلية عن جميع الصفات. لا أنهم عطلوا الصنع عن الصانع تعالى.

والأجوبة الصادرة من جعفر الصادق، وأبي حنيفة، والشافعي وغيرهم رضى الله عن جميعهم، لا تدل على وجود طائفة من العالم، تنتحل هذه النحلة الباطلة بالبدئية. والشبهة قد تعرض^(٤٨٨) لواحد ونحوه فيطلب^(٤٨٩) زوالها بالسؤال والجواب. وسببه كما قال جعفر الصادق رضى الله عنه: فتح باب المعاصي والشهوات، حتى تغلب الأهواء

(٤٨٠) في الملل والنحل ص ٣١٢ وما بعدها، وص ٤٩٠ وما بعدها، وص ٥٠٦ وما بعدها.

(٤٨١) في الأصل: تلخيص الفصل، وهو خطأ.

(٤٨٢) في م: الموجود.

(٤٨٣) تلخيص المحصل ص ١٥٤. (بتصرف).

(٤٨٤) ج ٤ ص ٢٤.

(٤٨٥) في م: بل واسطة.

(٤٨٦) في م: مبدأ الجميع. وفي شرح المقاصد ٢٤/٤: مبدأ لجميع المتقابلات.

(٤٨٧) في شرح المقاصد ٢٤/٤: فهو متعل عن.

(٤٨٨) في ل و م: تعترض.

(٤٨٩) في ب: فيبطل، ولا معنى له.

على العقول. وإلا فالحق أوضح من أن يخفى على أحد.

وهذا كلام جعفر. قال رضي الله عنه: ولعمري ما أوتي الجهاد من قبل ربهم. وأنهم يرون الدلالات الواضحات، والعلامات الظاهرات في خلقهم، وما يعلمون في السماء والأرض من الصنع المتقن^(٤٩٠). ولكن فتحوا على أنفسهم أبواب المعاصي والشبهات. فسهلوا إليها سبيل الشهوات. فغلبت الأهواء على عقولهم. واستحوذ الشيطان على قلوبهم. وكذلك يطبع الله على قلوب المعتدين.

وهذا آخر ما قصدته، وقصاري ما اعتمدته. ورحم الله امرءاً سامح بالإغضاء، وواسئ^(٤٩١) بالرضا. وعذر بقصور الباع، وقلة الاطلاع. وشكر ما فيه من حسن التنبيه^(٤٩٢)، ومزيد التعظيم لمولانا والتنزيه^(٤٩٣). فإنه لو أعطي القوس باريها، وأسكن الدار بانيها، لما عد^(٤٩٤) أمثالنا في العير ولا في النفير. ولا ضربوا في سهام السبق بنقير ولا قطمير. ولا عدوا في عداد الموالي ولا الصميم.

ولكنّ البلاد إذا اهشعرت وصوّح^(٤٩٥) نبتها رُعي الهشيم^(٤٩٦)
وصلّى الله على سيدنا محمّد وآله عدد ما ذكر الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون.

وكان الفراغ منه^(٤٩٧) بعد الزوال يوم الأربعاء التاسع عشر من ربيع النبوي عام سبعة وأربعين ومائة ألف. قاله وكتبه، عبد ربه تعالى، أحمد بن مبارك بن محمّد بن علي السجلماسي، ثمّ اللمطي، لطف الله به آمين.
انتهى بحمد الله تعالى وحسن عونه^(٤٩٨).

(٤٩٠) في ب: المتفق، وهو تحريف.

(٤٩١) في ل و م: وسامح.

(٤٩٢) في ل و م: التتمية، ولا معنى له.

(٤٩٣) في ط: والتنويه.

(٤٩٤) في م: لما عدم، وهو خطأ بين.

(٤٩٥) صوّح النبات: إذا يبس وتشقق.

(٤٩٦) البيت لأبي علي البصير كما في اللسان وغيره. وقبله بيت آخر، وهو:

لعمري أهلك ما نسب الملقى إلى كرم وفي الدنيا كريم

(٤٩٧) في م: من نسخها.

(٤٩٨) في م: انتهى، رحمه الله، ونفع به آمين. وفي ب: ووافق الفراغ منه في أواسط جمادى الثانية

عام أحد وثلاثمائة ألف، رزقنا الله خير، ووفانا شره.

الفهارس العامة

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية
- فهرس أهم مصادر ومراجع التحقيق
- فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقمها	طرف الآية
		سورة البقرة
٩٩	١٩٦	﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾
٧٧	٦٤	﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
		سورة الأنعام
٨٦	٢٩	﴿وَقَالُوا إِنَّمَا هِيَ إِلهَانَا الَّذِي تَنَادَىٰ
٨٤	٤١ - ٤٠	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَدَابُ اللَّهِ﴾
١٠٤	٧٤	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ مَا زَرَّ
١٠٥ - ١٠٤	٧٧ - ٧٦	﴿فَلَمَّا أَفْلَحَ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾
		سورة المائدة
٩٩	٣٦	﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
		سورة الأعراف
٧٠	١٨٥	﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
		سورة الأنفال
٩٩	٢٥	﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾
		سورة يونس
٧٠	١٠١	﴿قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
		سورة إبراهيم
٨٣ ، ٧٧	١٠	﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ﴾
		سورة النحل
٩١	٦٨	﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾
٩٨	٥٣	﴿وَمَا يَكُم مِّنْ نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾
		سورة الإسراء
٨٤	٦٧	﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ
		سورة مريم
١٠٤	٤٢	﴿يَتَأْتُونَ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾
		سورة طه

٨٧	٥٠	﴿ أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ سورة الحج
٩٩	١	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُم ﴾ سورة النور
٩١	٤١	﴿ وَالطَّيْرُ صَفَقَتِ كُلِّ قَدَعٍ صَلَاتُهُ ﴾ سورة النمل
٩٣	١٦	﴿ عَلِمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ ﴾
٩٤ ، ٩٢	١٨	﴿ قَالَتْ تَمَلَّ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا ﴾
٩٢	٢٢	﴿ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِط بِهِ ﴾
٨٧	٨٨	﴿ سَخَّرَ اللَّهُ لِي الَّذِي آتَى كُلَّ شَيْءٍ ﴾ سورة الروم
٧٠	٨	﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ ﴾
٧٠	٩	﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا ﴾
		سورة لقمان
٩٨	٢٠	﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ ﴾ سورة سبا
٩١	١٠	﴿ يَنْجِبَالِ أَوِ ابْنِ مَعْنَى وَالطَّيْرِ ﴾
		سورة الصافات
١٠٤	٩٥ - ٩٦	﴿ اتَّعْبُدُونِ مَا تَنْجُسُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ﴾
		سورة غافر
٧	٥٧	﴿ لَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾
		سورة الزخرف
٨٣	٩	﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾
٨٦ ، ٨٣	٨٧	﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾
		سورة الجاثية
٨٦	٢٤	﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾
		سورة محمد
٩٩	١٩	﴿ قَاظِرًا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾

فهرس الأحاديث النبوية

- ٧٦ - «إن الله جعل لابن آدم الملوحة في العينين...»، الحديث.
- ٧٠ - «بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم...»، الحديث.
- ٩٢ - «الديك إذا صاح يقول...»، الحديث.
- ٨١ - «كم لك من إله...؟»، الحديث.
- ٩٤ - «لتؤذن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة...»، الحديث.
- ٩٢ - «نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل أربع من الدواب...»،
الحديث.

فهرس أهم مصادر التحقيق ومراجعته

- ١ - الإبانة في أصول الديانة، لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت ٣٢٤هـ)، دار القادري، بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩١م.
- ٢ - الإجماع، لابن المنذر محمد بن إبراهيم (ت ٣١٨هـ)، تح: فؤاد عبد المنعم أحمد، الناشر: مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
- ٣ - أحسن ما سمعت، للثعالبي، تصحيح: محمد أفندي عنبر، ط. المحمودية، مصر.
- ٤ - الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، لأبي المعالي عبد الملك الجويني (ت ٤٧٨هـ)، تح: محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم، مطبعة السعادة، مصر ١٩٥٠م.
- ٥ - أصول الدين، لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي (ت ٤٢٩هـ)، ط. ١، اسطنبول، ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م.
- ٦ - الاقتصاد في الاعتقاد، لأبي حامد محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، دار الأمانة، بيروت، ط ١، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م.
- ٧ - التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، لأبي المظفر شاه بور بن طاهر بن محمد الإسفراييني (ت ٤٧١هـ)، تعليق: محمد زاهد الكوثري، مطبعة الأنوار ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م.
- ٨ - تبين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، لأبي القاسم علي ابن الحسن بن عساكر (ت ٥٧١هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٩٩هـ.
- ٩ - ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان، لأبي عبد الله محمد بن المرتضى اليماني (ت ٨٤٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
- ١٠ - تفسير القرآن العظيم مسندا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، لابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد الرازي (ت ٣٢٧هـ)، تح: أسعد محمد الطيب، المكتبة التجارية، مكة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- ١١ - تقريب التهذيب، لأبي الفضل أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٧٥٢هـ)، تح: عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
- ١٢ - تهذيب تاريخ ابن عساكر، تهذيب ابن بدران عبد القادر بن أحمد (ت ١٣٤٦هـ)، ط. الترقى، دمشق.

- ١٣ - تهذيب التهذيب، لابن حجر، ط. حيدر آباد الدكن، الهند ١٣٢٥هـ.
- ١٤ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، ط. دار الفكر، بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.
- ١٥ - جامع القرويين: المسجد والجامعة بمدينة فاس، عبد الهادي التازي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٢م.
- ١٦ - الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، لابن البيطار ضياء الدين عبدالله بن أحمد، ط. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- ١٧ - الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم محمد بن إدريس الرّازي (ت ٣٢٧هـ)، ط. حيدر آباد الدكن، الهند ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م.
- ١٨ - حسن المحاضرة في تاريخ ملوك مصر والقاهرة، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. عيسى البابي الحلبي ١٩٦٧م.
- ١٩ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبدالله (ت ٤٣٠هـ)، ط. دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- ٢٠ - الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، محمد الأخضر، ط. دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٩٧٧م.
- ٢١ - ديوان أبي العتاهية، تعليق: مجيد طراد، ط. دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٥م.
- ٢٢ - ديوان أبي نّوّاس، تح: محمود كامل فرية، المكتبة التجارية، مصر.
- ٢٣ - ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تح: سليم النعيمي، نشر وزارة الأوقاف العراقية، ١٩٨٢م.
- ٢٤ - الروض المغطار في خبر الأقطار، للحميري محمد بن عبد المنعم، تح: إحسان عباس، ط. مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م.
- ٢٥ - سراج الملوك، لأبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي (ت ٥٢٠هـ)، تح: محمد فتحي أبو بكر، ط. الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٤م.
- ٢٦ - شرح السنوسية الكبرى المسماة (عمدة أهل التوفيق والتسديد، شرح عقيدة أهل التوحيد الكبرى، لأبي عبدالله محمد بن يوسف السنوسي الحسني (ت ٨٩٥هـ)، ط. دار القلم، الكويت، ١٩٨٢م.

- ٢٧ - شرح المقاصد، للتفتازاني مسعود بن عمر (ت٧٩٢هـ)، تح: عبدالرحمن عميرة، ط. عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩م.
- ٢٨ - صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام، للسيوطي، تعليق: علي سامي النشار، ط. دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٢٩ - صيانة صحيح مسلم من الإخلال والفلط وحمائته من السقاط والسقط، لابن الصلاح عثمان بن عبدالرحمن (ت٦٤٣هـ)، تح: موفق عبدالله عبدالقادر، ط. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٤م.
- ٣٠ - فتح الباري، لابن حجر، ط. دار الريان، القاهرة، ١٩٨٦م.
- ٣١ - فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، لأبي حامد محمد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، تح: سليمان دنيا، ط. عيسى البابي الحلبي، ١٩٦١م.
- ٣٢ - قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس، للثعلبي أحمد بن محمد (ت٤٢٧هـ)، ط. المكتبة التجارية، بيروت.
- ٣٣ - كتاب المغرب، للصدّيق بن العربي، ط. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٤م.
- ٣٤ - الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري، ط. دار الكتاب العربي، بيروت.
- ٣٥ - النقاط الدرر، للقادري محمد بن الطيب (ت١١٨٧هـ)، تح: هاشم العلوي، ط. دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٣م.
- ٣٦ - مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري، من إملاء ابن فورك أبي بكر محمد ابن الحسن (ت٤٥٦هـ)، تح: دانيال جيماريه، منشورات جامعة القديس يوسف، بيروت، دار المشرق، بيروت ١٩٨٧م.
- ٣٧ - محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، لفخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت٦٠٦هـ)، وبذيله: تلخيص المحصل، للطوسي نصير الدين محمد (ت٦٧٢هـ)، ط. الكليات الأزهرية، مصر.
- ٣٨ - المصنف في الأحاديث والآثار، لابن أبي شعبة عبدالله بن محمد (ت٢٣٥هـ)، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.
- ٣٩ - معجم المطبوعات العربية، يوسف إلياس سركيس، مكتبة الثقافة الدينية.
- ٤٠ - مناقب أبي حنيفة، للموفق بن أحمد المكي (ت٥٦٨هـ)، ومعه مناقب أبي حنيفة لحافظ الدين المعروف بالكردي، ط. دار الكتاب العربي، بيروت.

- ٤١ - مناظرة جعفر الصادق مع الرافضي في التفضيل بين أبي بكر وعلي رضي الله عنهما، تح: علي بن عبدالعزيز آل شبل، ط. دار الوطن، الرياض ١٤١٧هـ.
- ٤٢ - المنقذ من الضلال، للغزالي، تح: عبدالحليم محمود، ط. دار الكتب الحديثة، مصر، ١٩٧٤م.
- ٤٣ - المواقف في علم الكلام، للإيجي عضد الدين عبدالرحمن بن أحمد (ت ٧٥٦هـ)، ط. عالم الكتب، بيروت.
- ٤٤ - مؤرخو الشرفاء، ليفي بروفنسال، تعريب: عبدالقادر الخلافي، ط. دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، ١٣٧٩هـ/١٩٧٧م.
- ٤٥ - النبوغ المغربي في الأدب العربي، عبدالله كُتون، ط. دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
- ٤٦ - وصف إفريقية، للوزان الحسن بن محمد (ت ٩٤٤هـ)، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣م.
- ٤٧ - اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة، للأزهري محمد البشير ظافر، ط. دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٠م.

فهرس الموضوعات

٣	الإهداء
٧	المقدمة
٩	التمهيد
٩	الفصل الأول: ترجمة السجلмасي
٩	اسمه ونسبه
١١	ولادته ونشأته
١٢	شيوخه
١٩	تلاميذه
٢٤	مكانته العلمية وثناء العلماء عليه
٢٨	مؤلفاته
٣٢	وفاته
٣٤	الفصل الثاني: دراسة الرسالة
٣٤	المبحث الأول: تحقيق عنوان الرسالة، وصحة نسبتها إلى مؤلفها
٣٤	المبحث الثاني: موضوع الرسالة
٤٣	المبحث الثالث: مصادر الرسالة
٤٤	المبحث الرابع: مزايا ومآخذ
٤٥	المبحث الخامس: وصف نسخ الرسالة
٤٨	صور من النسخ المخطوطة
٦٣	النص المحقق: رد التشديد في مسألة التقليد
٦٥	هل التكفير شرعي أم عقلي؟
٦٦	ضابط ما يكفر به في الشرع
٦٧	المقلد ليس بكافر
٧٠	المقلد ليس بعاص بترك النظر

٧١	علم الكلام ليس برافع للتقليد
٧٣	سبب إنشاء علم الكلام
٧٤	أقسام عقائد التوحيد
٧٥	التأمل في الكون والأنفس طريق الإيمان
٧٨	حكايات في وجود الصانع وطرده المعاند
٨٢	التنبية على أمور مهمة
٨٤	العلم مركوز في الفطر
٨٥	مناظرة بين طبيب وجعفر الصادق
٨٨	حكايات في أن علوم البهائم فطرية، لا مكتسبة بالتكرار
٩٠	ما يدل على أن البهائم تدرك قضايا كلية ولوازمها
٩٥	هل معرفة الله نظرية عند أبي الحسن الأشعري؟
١٠٠	أي الطريقين أقوى: طريق دلالة الأثر، أو طريق المشاهدة العيانية؟
١٠١	العلم لا يتفاوت
١٠٢	مقصد سائر الكفرة بعبادتهم غير الله
١٠٢	الصابئة ومعتقداتهم
١٠٥	المجوس ومعتقداتهم
١٠٧	العرب
١٠٨	الفلاسفة والمعطلة
١١١	الفهارس العامة
١١٣	فهرس الآيات القرآنية
١١٥	فهرس الأحاديث النبوية
١١٦	فهرس أهم مصادر التحقيق ومراجعته
١٢٠	فهرس الموضوعات

